437

HARLEQUIN

روايات أحلام

لحظة وداع

لوسي مونرو

www.elromancia.com
مـــــرمـــــوريـــــة

لحظة وداع

ولد الملياردير اليوناني ساندور كريستوفيدوس في العار. وتسلق سلم النجاح المهني حتى بلغ أعلاه. فلم يعد بحاجة إلا إلى الوريثة الغنية إليانور وينتورث لتكون عروسه. كل شيء جاهز، المطعم، الورود الحمراء.. والخاتم الماسي! ولكن هل ما يريده هذا الملياردير اليوناني فعلا هو حماية إيلي البريئة.. أم أنها مجرد حجر في لعبته العديمة الرحمة!

لبنان	3000ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	100ل.س	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2.50دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 978-9953-15-405-3

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Bought: The Greek's Bride
First published in Great Britain 2007
Harlequin Mills & Boon Limited
© Lucy monroe 2007
Translation © Dar El-Farasha - 2009
ISBN 978 - 9953 - 15 - 405 - 3

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

١ - لست عذراء

دخلت إيلي برفقة ساندور إلى مطعم «بوسطن» الفخم ويده الكبيرة الدافئة على أسفل ظهرها. شعرت بالانتعاش وهي تدخل إلى هذا الجوّ المكيّف. كان طقس بوسطن في الصيف حاراً ورطباً لكن البرودة المفاجئة جعلتها تقشعر. وبدلاً من أن يضايقها ذلك، تملكتها رعشة غريبة ما انفكت تنتابها منذ عرفت هذا الرجل.

لقد طبع ذلك أول لقاء بينهما، ولم تمحّ الدمغة منذ ذلك الحين، ما جعلها بحاجة لأن تكتشف ناحية من شخصيتها تجهلها، وهي طبيعتها الأنثوية. وجدت نفسها ترتدي، وهي معه، ملابس أكثر إثارة مما اعتادت، مستمتعة بلمسته المتملكة. وكانت هذه الليلة ترتدي ثوباً أنيقاً مثيراً يكشف عن جزء كبير من جسمها، لكن حاشيته تصل بحشمة إلى ما تحت الركبتين بينما التصق الحرير الأسود بجسمها. لكن القماش الرقيق لم يمنعها من أن تشعر بيده على ظهرها.

عندما قادهما رئيس الندل إلى مائدتهما، تعرّفت إلى بعض الوجوه ما جعلها تتمنى لو أنها لم تعرفها. تمنت ألّا يأخذها ولو لمرة واحدة إلى مطعم خاص بالطبقة الراقية، لكن ساندور كريستوفايدس لا يرضى بسوى الأحسن.

كانت تتساءل أحياناً عما يفعله معها. لقد ولدت في عالم جاهد كثيراً لكي يصل إليه لكن هذا كل ما يمكنها أن تقدمه له. فهي ليست طويلة القامة، أو ذات مفاتن واضحة، بل إن ملامحها عادية،

وشعرها أشقر داكن. لم تكن تُعتبر جميلة بشكل مميّز، وقلما تهتم بالصداقات التي يتلهف آخرون إلى إقامتها. وهي تكره أن تقيّم الشخص بحسب ما يملك من مال. ولم يكن عملها كمستشارة موارد بشرية في الولاية، يدر عليها الكثير من المال. وكان أبوها يعتبر وظيفتها هذه مضيعة لعلومها العالية، لكنها لا تهتم. فهي أيضاً تعتبر انشغاله البالغ بعمله مضيعة. وهذا لا يعني أنّ شركته ليست مهمة، لكنها تكره واقع أنه يعطي لشركته الأولوية عليها وعلى أي أمر آخر.

قطع عليها أفكارها وقوف رئيس الندل عند المائدة التي تجلس إليها عادة مع ساندور. وكان موقع هذه الطاولة يشير إلى أهمية مركز ساندور، وهو أمر كان يجعل عينيه البنيتين الداكنتين تلمعان بالرضا للحظة قصيرة.

وهذا سبب آخر يجعلهما غير متناسبين فهذه الأمور لا تؤثر فيها، ربما لأنها نشأت عليها فاعتادتها. كانت تبتهج إذا حصل أحد زبائنها على عمل، أو شهادة ضرورية لوظيفة ما، أو حصّل علماً إضافياً.

لقد عرفت لما لم ترفض يوماً دعوة ساندور للخروج فبهجتها عندما تكون معه تفوق الوصف. لكنها لم تكن تفهم سبب إطالته الأمر معها فهو لا يبدو من النوع الذي يفضل العزوبة.

ساعدها ساندور على الجلوس بدافع من شهامته اليونانية أو ربما من شعوره بالتملك، لم تكن واثقة تماماً. ولكن مما فهمته عن ساندور، أدركت أنها لن تكون من ينهي علاقتهما. فهذه التصرفات البسيطة منه كمساعدتها على الجلوس، تجعلها تشعر بالأهمية، وقد أبرزت جانباً من شخصيته وجدته مغرياً. إنه لا ينحني أمام ما يمليه عليه العالم بل يصرّ على أن تسير الأمور بشروطه هو. وعندما راحت تخرج معه، شعرت وكأنها حية حقاً وذلك للمرة الأولى في

سنوات عمرها الأربع وعشرين.

لم تستطع أن تمنع نفسها من النظر إليه بمشاعر جيّاشة، حاولت أن تخفيها. وهو يجلس بقامته الطويلة على الكرسي قبالتها. تأملت شعره الأسود المتموّج والطويل قليلاً الذي يحيط بملامح يمكنها أن تحدق فيها طوال الليل، وكتفيها العريضتين في سترة العشاء.

كانت العناية والنظافة واضحتين على يديه وأظافره، لكنها لاحظت آثاراً قديمة تدلّ على خلفية مختلفة تماماً عن خلفيتها هي.

بعد أن استقرا في جلستهما، ابتعد رئيس الندل من دون أن يعطيهما قائمة الطعام لكن ساندور لم يأبه لذلك.

بدا مشغولاً للغاية بتوجيه نظرات ذات معنى إليها، نظرات تشعرها بأنه لاحظ المشاعر التي حاولت أن تخفيها.

ابتسم ليكشف عن أسنان ناصعة ثم قال: «أنا لست على القائمة».

وسكت لحظة قبل أن تتحوّل ابتسامته إلى ابتسامة واسعة شيطانية ويردف: «ولكن بإمكاني أن أكون كذلك».

قالت بجرأة لتغيظه رغم احمرار وجهها: «وعود... وعود».

لم يسبق لها قط من قبل أن تجاوبت مع رجل كما تتجاوب معه الآن.

ضحك، لكنه توقّف عند هذا الحد.

كبحت وخزة من خيبة الأمل وسألت: «كيف تسير المفاوضات مع إدارة سلسلة المتاجر؟».

- إنها مضمونة.

كانت تعشق كلامه بالعامية الأميركية بلكنة يونانية. وعلى عكس غيره من الأجانب من معارف أبيها، كان ساندور يتكلم الإنكليزية

بشكل صحيح بعد أن تعلّم على أيدي معلمين أكفّاء حين جاء، وهو صبي، ليعيش في أميركا. وما زالت أمه تتكلم الإنكليزية بلكنة ثقيلة ما يتطلب تركيزاً لفهمها.

- أنا مسرورة وواثقة من أن أبي راضٍ.

- نعم، لكننا لسنا هنا الليلة لنتحدث عن الأعمال.

- ألسنا كذلك؟

- أنت تعلمين أننا لسنا كذلك.

ضحكت برقة: «لن أجادلك. منذ عرفتك، أصبحت أعرف عن أعمال أبي أكثر مما كنت أعرفه من قبل. أنا لست ماهرة كثيراً في الأحاديث من هذا النوع مع مرافقي».

- لكنني أظنك مرافقة مثالية في أمور أخرى.

أتراه يمازحها مرة أخرى؟... ونظرت إليه بارتباك لكنه لم يقل شيئاً رغم أن جانب فمه التوى بغموض.

دهشت عندما طلب الطعام من دون أن يسألها عما ترغب فيه، فهو لم يفعل هذا قط من قبل. لكن بدا لها وكأنه طلب الطعام حتى قبل أن تأتي إلى المطعم.

وتعزز هذا الشعور عندما عاد النادل بالمقبلات.

أخذت تشمّ متلذذة رائحة القريدس مع الثوم والزبدة الذي يعلوه الجبن المبشور وقالت: «هذا ما أحبه».

- أعرف ذلك.

وضع قطعة من القريدس على شريحة صغيرة من الخبز ووضع فوقها الزبدة مع الثوم والجبن المبشور وناولها إياها وهو يتابع قائلاً: «أنا أعرفك جيداً يا إليانور».

- أحقاً؟

- أتشكين في ذلك بعد ثلاثة أشهر من تعارفنا؟

- هذا يعتمد على ما تعنيه. أظنك تعرف الكثير عني، لكنني غير واثقة من أنك تعرفني.

يمكن لأبيها أن يطلب لها هذه المقبلات هو أيضاً، لكن هذا لا يعني أنه يعرف ما يغضبها. فوالدها لا يرغب في أن يعرفها إلا بشكل سطحي.

ولم تستطع أن تخفي أملها في أن يكون ساندور مختلفاً.

أجابها سائلاً: «هل ثمة فرق بين الإثنين؟ (أن أعرفك) و(أن أعرف الكثير عنك؟)».

- نعم.

- إذا مضت الليلة حسب ما خططت لها، فسيكون لدي ما يكفي ما من الوقت لأعرف ما تعنينه.

- وما هو المخطط الذي وضعته لهذه الليلة؟

أجاب: «إسمحي لي بأن أكشف عن خطتي تدريجياً».

كان عليها أن تدرك أن لديه برنامجاً ما، فهذه هي شخصيته. وكان هذا أحد أكثر أساليبه إرباكاً ما ذكّرها بأبيها. لم تكن تكره هذا بالضبط، لكنه أقلقها بعض الشيء. فهل برنامجه موضوع ببرودة مشابهة لبرودة برامج أبيها؟

- طبعاً. لن يخطر لي أن أطلب منك تغيير برنامجك.

أخذ رشفة من شرابه وعيناه مليئتان بتهديد ساخر: «أتسخرين مني؟».

- ربما، قليلاً. التلقائية ليست من مزاياك.

- أنت تعرفينني جيداً.

- إلى الحد المفروض بعد مرور ثلاثة أشهر على تعارفنا.

www.elromancia.com

- هذا كافٍ.

تحمل كلماته معنى خفياً لكنها لم تكن واثقة من كنهه. وسألته: «ألن تتناول بعضاً من هذا القريدس؟».

- البهجة الحقيقية تأتي من رؤيتي لك تأكليه.

تناولت لقمة وإذا بعينيها تغمضان بتلذذ بالغ: «لكل منا مقبلاته الخاصة».

فضحك: «أطمئنك إلى أنني سعيد جداً بمقبلاتي».

لم تفهم ما عناه إلا بعد لحظة. وعندما فهمت، فتحت عينيها. كان ينظر إليها وفي عينيه بريق خطر.

تنفست بعمق وقد تسارعت خفقات قلبها ودار رأسها. يا إلهي، هل يقدم هذا الرجل على ذلك؟ ألن يتركها الليلة مودعاً بقبلة المساء المعتادة التي تترك دوماً في نفسها فراغاً.

تلا المقبّلات حساء الجوز ولم تكن قد تناولته من قبل في هذا المطعم بالذات. قالت: «لابد أن الطاهي يجرب أطباقاً جديدة».

- حسب طلبي.

- هل طلبت الوجبة مسبقاً؟

- نعم.

- لماذا؟

- هذه الليلة غير عادية. أريد أن تجري الأمور كما ينبغي.

- ليلة غير عادية؟

- نعم.

- يعجبني قولك هذا. هذا الحساء لذيذ.

وابتسمت وهي تحتسي الحساء الذي طلب من أحد أشهر طهاة بوسطن أن يحضره من أجلها فقط.

- لم أتوقع أقل من هذا.

- يدهشني أنك تمكنت من إقناع الطاهي بتقديم طبق جديد لمصلحتك وحدك.

- المال يتحدث كافة اللّغات.

- حتى بالنسبة لذلك الطاهي الحاد المزاج؟

فقال مشيراً إلى حسائهما: «كما ترين. لكنه لم يحضّر الحساء لي أنا».

- حقاً؟

- لا. بل لك.

- بناءً على طلبك.

- نعم لأن هذه الليلة غير عادية.

- تماماً.

لم تجد ما تقوله غير ذلك ففي هذه اللحظة، حدث أمران قطعا حديثهما. الأول هو أن ثلاثة عازفين كمان وقفوا على مقربة منهما وراحوا يعزفون مقطوعة مثيرة للعواطف ومهدئة في الوقت نفسه.

والأمر الثاني هو أن رئيس الندل قدّم لها «دزينتين» من الورود الحمراء، أخذتهما وراحت تشمهّما بقوة.

ونظرت إلى ساندور: «إنها رائعة».

- هل أنت واثقة إلى هذا الحد من أنها مني؟

ضحكت بصوت أجش أدهشها: «طبعاً».

ومع ذلك، التقطت البطاقة لتقرأها: (ساندور) وقالت ووجهها ما زال مدفوناً في الورود: «شكراً».

لسبب ما، أرادت أن تختبئ فيها لحظة.

كان هذا كله أكثر شاعرية مما توقعته منه ما جعلها تتساءل عما

www.elromancia.com

إذا كان يكنّ لها مشاعر أخرى لم تلحظها. هذا الاحتمال جعل قلبها يخفق.

أجاب: «بكل سرور».

عاد رئيس النذل فأخذ الورود ليعيدها بعد لحظات في زهرية رائعة من البلور وضعها على جانب مائدتهما.

أخذت تسترق النظر إلى الورود أثناء تناولها الحساء، ورأسها يدور لما يعنيه هذا كله.

وعندما أُخليت المائدة من الطبق الرئيسي الذي كان يعلم أيضاً أنها تحبه، رأت علبة سوداء على المائدة فانقطعت أنفاسها.

حدّقت في العلبة. لا يمكن أن يكون هذا ما ظنته. الورود... عازفو الموسيقى... وفجأة، اتضح كل شيء كلها ووصلت إلى نتيجة لم تفكر فيها إطلاقاً. إنها مظاهر شاعرية تمهّد لطلب يدها؟

لم تستطع أن تصدق ذلك، ومع هذا، ما من ثمة سبب آخر لوجود العلبة هذه. أمسك بيدها فشعرت بتنمل في جسمها. شعرت به ينظر إليها ويريدها أن تقابل نظراته فأرغمت نفسها على هذا. رفعت نظرها إلى ذقنه القوية المشقوقة ومن ثم إلى أنفه المستقيم الطويل، وإلى نظراته الثاقبة.

- يا إليانور وينتويرث... هل تمنحينني شرف أن تصبحي زوجتي؟

ورغم توقعها هذا السؤال، فقدت رباطة جأشها المعتادة فشهقت وأخذت تحدّق فيه مفتوحة الفم من دون صوت. لقد طلب منها الزواج، لكن لم يكن لديها فكرة عن شعوره نحوها. لو كان يحبها لقال لها ذلك أو لشعرت بذلك. وقالت من دون تفكير: «لا أدري».

بدا عليه وكأنه كان يتوقع رداً مختلفاً.

- هيا. لابد أنك كنت تتوقعين هذا.

- هيه... لا، لم أكن أتوقعه. صدقني! إنها مفاجأة تامة.

عضّت شفتها وظنت أنها ربما بدت ساذجة لكن لم يخطر في بالها قط أن رجلاً بمثل حيويته يطلب الزواج من امرأة لم يعرفها سوى من فترة قريبة. وبدت عديمة اللباقة أمامه. سبق وواجهت أوضاعاً اجتماعية صعبة بكياسة بالغة منذ أن كانت طفلة في السادسة من عمرها، ولكن لم يعرض عليها الزواج أبداً رجل تريده من دون أن تكون واثقة أبداً من أنه يريدها.

وتمنت لو أنه... لكنها لم تكن واثقة قط.

قال: «هل هي مفاجأة غير سارة؟».

طرح سؤاله هذا من دون أي مظهر للضعف. كانت لهجته آمرة، كما لو أنه يريد جواباً، ويريده الآن.

هزّت رأسها: «ليست غير سارة بل غير متوقعة».

- إننا نخرج معاً منذ ثلاثة أشهر.

- نعم.

- ووفيان لبعضنا البعض؟

- نعم... أعني أنني اعتبرت...

- بالنسبة إليّ، كنت وفياً لك.

شيء ما في داخلها استرخى قليلاً وقالت: «وأنا أيضاً».

- إلى ما ظننت علاقتنا هذه ستنتهي، إن لم يكن إلى الزواج؟

أجابت بصدق: «كنت أظنها ستتطور تدريجياً».

هل كانت بينهما حتى علاقة؟ لقاءات من حين إلى آخر... نعم... أما علاقة؟

شتم باللغة اليونانية شتيمة قذرة للغاية.

www.elromancia.com

وقال: «لا أصدق أنك قلت ذلك لتوّك».

ففوجئت: «لماذا؟».

- هذه ليست شخصيتك.

- لعلك لا تعرفني إلى الحد الذي تظنه.

ربما ليس من المناسب مناقشة مثل هذه الأمور في مكان عام. لكنها لا تهتم بالسلوك الصحيح كما يظن الجميع أو كما يظن أبوها. فالصدق أهم بكثير لديها.

والحقيقة هي أنه لا يعرفها جيداً، والزواج من رجل يجهل إلى هذا الحد شخصيتها الحقيقية لا يستهويها أبداً. ولو أن طالب الزواج شخص غيره لما استهواها قط.

قال بإصرار: «بل أنا أعرفك».

هزت رأسها بغضب: «ليس بما يكفي».

- أعرفك بما يكفي للتأكد من انسجامنا.

- لأننا تعانقنا مرات عدة؟

- كان أكثر من مجرد عناق.

وذكرتها نظراته بما يعنيه.

في أول عناق لهما، كاد الأمر يخرج عن السيطرة بسرعة. لكنها تراجعت فزعة من فيض المشاعر التي تملكتها والتي لم تعرفها من قبل. ومنذ ذلك الحين، ضبط نفسه، ولم يسمح قط لمشاعره المحمومة بأن تسيطر عليه.

- نعم. هذا صحيح. لكني أتساءل عما إذا كنا منسجمين في ذلك المجال بقدر ما تظن.

- لماذا عليك أن تتساءلي عن ذلك؟ من الواضح أنك تريدينني.

كانت لهجته اليونانية تزداد خشونة عند الاستياء. وقد لاحظت

ذلك أثناء مخابرة هاتفية سمعتها صدفة. لكن هذا لم يحدث معها قط من قبل. لم تشعر بالخزي وهي تراه يتحدث الآن، بل كانت مسرورة لقدرتها على أن تغضبه، رغم أنها تفضل دليلاً على شعور من نوع آخر إذ لم تستحسن شعوره هذا على الإطلاق.

وأجابت وهي تصرف بأسنانها: «نعم. أنا أريدك، لكنني لست واثقة من أنك تريدني. وأنا لن أمضي حياتي زوجة لرجل يبحث عن المشاعر الحميمة خارج سريرنا الزوجي».

سألها بصوت أجش جعلها تكاد لا تفهم ما يقول: «من قال إنني سأفعل ذلك؟».

فأجابت: «ومن قال إنك لن تفعل ذلك؟».

- أنا أقول.

- أريد أن أصدقك، ولكن...

- ليس هناك (ولكن). إن كلمة الشرف التي أعطيها لا أتراجع فيها.

- أنا لا أتحدث عن الشرف بل عن الحب.

- لقد تحدثت عن خرق عهود الزواج، وهذا ما لا أقبله.

سرّها أن تسمع ذلك. لكنه لم يحل المشكلة التي تقلقها. إنه شريك والدها في العمل، فإلى أي مدى يرتبط هذا بعرض الزواج؟ فهي لا تستطيع أن تقنع نفسها بأن الحياء يمنع ساندور من الاعتراف بحبه الذي لا يموت. إنه من الثقة بنفسه بحيث يعترف بحبه، لو كان يحبها. ومع ذلك، كيف يمكن لامرأة أن تتأكد مما إذا كان عرض الزواج مجرد محاولة لتنظيم العمل مع أبيها أم أنه يريدها فعلاً. ربما الأفضل أن تواجهه بذلك بصراحة فساندور لا يحب المراوغة.

- أتريدني لذاتي أم لأنني ابنة أبي؟

www.elromancia.com

قطب جبينه: «ظننت ذلك واضحاً».

لعله واضح بالنسبة إليه وليس بالنسبة إليها. فهو عندما يعانقها، لا يبذل جهداً لإخفاء المشاعر المحمومة التي تتملكه لكنه لا يستسلم لها قط وهذا ما يشوّش ذهنها.

- لو كان واضحاً لما سألتك.

- بل أنا أريدك، وإلى أقصى حد.

وبدا صوته صادقاً.

بللت شفتيها بلسانها: «هذا... هذا حسن».

- بالنسبة إليّ، الزواج هو الخيار الأفضل.

قالت له: «لديك وجهة نظر قديمة الطراز للغاية».

- نعم. وأنا لا أخجل من ذلك. لقد ولدت في قرية يونانية متمسكة بتقاليدها. قد لا تجد معتقدات جدي قبولاً كلياً في نفسي، لكن تأثيره ما زال موجوداً.

فقالت، تقفل موضوعاً يثير اضطرابها: «ساندور. أنت لا تتكلم عن ماضيك أبداً. أنا لا أعلم إن كان أبوك ميتاً، أو والداك مطلقين. لماذا لا تذكر أباك أبداً، بينما تأتي على ذكر جدك أحياناً؟ أنا أعرف أنه ميت... أعرف هذا على الأقل. لكنني لا أعرف لماذا تعيشان، أنت وأمك، هنا في أميركا. أنا لا أعرف الكثير عنك».

- المهم هو الطريقة التي أفكر فيها.

فاحمر وجهها: «ساندور».

حملق فيها: «يمكنني أن أكون جافاً. نعم، تعلمت هذا من ماض ومحيط لا تعرفين عنهما إلا قليلاً. ولكن أمراً آخر جاء من ذلك الماضي... وهو عقيدة ألّا يأخذ الرجل عذراء إلى فراشه إلا

إذا كانت زوجته».

- هل هذا ما علمك إياه جدك؟

- غرسه في نفسي يومياً طوال حياته. وحده الرجل عديم الشرف يفعل ذلك.

تملكها شعور بأن ثمة الكثير في هذا الموضوع عليها أن تكتشفه، ولكن عليها أولاً أن تغيّر الموضوع: «على أيّ حال، أنا لست عذراء».

- بل أنت كذلك طبعاً.

www.elromancia.com

٢ - رجل متغطرس

- وما الذي جعلك تستخلص هذا الاستنتاج اللامع؟

طرحت هذا السؤال بلهجة لو سمعها أبوها لتملكه الذعر. لم يكن الجنون يتملك إيلي بسهولة، لكنها عندما تغضب لا تتنازل عن مطلبها.

- من الطريقة التي يحمّر فيها وجهك عندما نتحدث في أمور حميمة.

- النساء المتزوجات تحمر وجوههنّ. إذا كانت هذا حجتك في الجدل، فعليك أن تحسّن مهارتك لا الاستنتاج.

ضاقت عيناه: «لا تعبثي معي. فأنا أعرف ما أعرفه».

- وماذا تظن أنك تعرف؟

- توقفي عن هذا الإدعاء الأحمق. وأنا آسف إذا ما أصابت ملاحظتي كبرياء أنوثتك لكنني لن أسمح لك أبداً بأن تكذبي عليّ.

- هل لديك مشكلة مع الصدق؟

- نعم.

- هذا مدهش. معظم رجال الأعمال قادرون على تحوير الحقيقة.

- لكنني لا أحتمل الكذب في حياتي الخاصة أبداً.

- وهل ستنتظر من العلاقة هذا القدر من الصدق؟

- نعم. كوني واثقة من هذا.

توتّر فكّه وبدت خطوط بيضاء على زاويتي فمه.

وأكمل: «لم يسبق أن كان لك أيّ علاقة جادة قط».

- هل هذا ما أخبرك به أبي؟

لم يبد عليه الضيق وهو يعترف بأنه تحدث عنها وعن خصوصياتها مع أبيها. وأجاب: «نعم».

- حسناً، يبدو أنه لا يعرف عني كل شيء. وهذا ما لا يدهشني.

كان عليه أن يرى الأدلّة الوافرة عن مدى ابتعادها هي ووالدها عن بعضهما البعض.

- لديه ما يجعله يعرف أموراً معيّنة.

- أتعني الحرس الذين يُفترض أنني لم أعد أحتاجهم؟

فقال بضيق: «أتعلمين عن حراسك؟».

- طبعاً. أخبرت أبي أنني لم أعد أريد الحرس لكن هذا لا يعني أنه أصغى إليّ. لكنني على الأقل معهم كنت أحظى بشيء من الخصوصية لأنهم يراقبونني من بعيد.

- هذا ليس خصوصية كافية.

كان يعني أن هذا لا يكفي لئلاّ يعلم أبوها إذا كان في حياتها علاقة جادة. وقالت: «أبي لا يعرف كل شيء عني».

- لكنك لم ترتبطي بعلاقة أقوى من مجرد مواعيد عادية.

- هذا صحيح.

لم تستطع أن تنكر ذلك لأنها الحقيقة وهي لم تكذب. إنها، مثله، تكره الكذب كأن يقول لك شخص ما إنه يحبك وهو لا يحبك.

- حسناً... كان لديّ أكثر من علاقة. إنني في الرابعة والعشرين

من عمري.

- لكنها لم تكن علاقات عميقة.

- وما أدراك؟ أهذا ما قاله أبي؟ لا يمكنك أن تثق بحكم رجل يرى الأرصدة في المصرف أهم من الناس. إنه لا يعرفني.

- كما لا أعرفك أنا؟

- نعم، مع الأسف.

انتفض بعنف: «أنت مخطئة».

لكنها لم تكن كذلك فساندور لا يعرفها أكثر مما يعرفها أبوها، ما يعني أنه لا يستطيع أن يهتم بها أكثر مما يفعل أبوها. وفيما آلمها ذلك، إذا بالسؤال الأهم يبرز... لماذا يريد ساندور أن يتزوجها؟

كان ينظر إليها وكأنه يتوقع مزيداً من الجدال.

ولكن لم يكن عليها أن تقنعه بوجهة نظرها في هذه اللحظة فرأيها هو المهم وإصراره لن يغيّره. قال: «أنا لم أعتمد على ما قاله فقط فقد تحرّيت عنك».

ولم يظهر على وجهه أي ندم لقوله هذا.

- ماذا؟ ولماذا؟

- في البداية، عندما فكرت في الزواج منك، رأيت أن أكون حذراً ومتعقلاً.

- أنت تمزح.

- لا.

- كنت أظنك أكثر غطرسة من أن ترى أنك بحاجة إلى أكثر من رأيك الخاص في مسألة كهذه.

- لقد سبق ونعتّني بالغطرسة.

- أحقاً؟

- نعم. عندما أخبرتك من سيفوز في مباراة كرة القدم.

- هذا لأنك كنت واثقاً تماماً من صحة حكمك رغم أنك لست حتى من هواة كرة القدم.

هزّ كتفيه: «ومع ذلك، كنت على صواب».

- حسناً، لكنك أخطأت بالنسبة إليّ.

وشعرت بنوع من الرضى حين وجدت ما يمكنها أن تعيّره به.

ربما كان عليها أن تشعر بجرح في كرامتها لأنه تحرّى عنها، لكن هذا لم يحصل. لقد تضايقت فقط. لو أراد ساندور الزواج بها فلِمَ لم يحاول معرفتها بشكل أفضل بدلاً من أن يتحرى عنها؟ ربما ما كانت لتنزعج إلى هذا الحد لو حاول التعرّف إليها بنفسه فضلاً عن التحري عنها، لكنه لم يفعل.

كان شبهه بأبيها يتزايد إنما ليس بشكل ايجابي. لقد ربّاها رجل كان ليتصرف بالشكل نفسه في وضع كهذا، حتى أنه أبقاها تحت مراقبة مستمرة من أجل سلامتها، لأنها ابنة رجل فاحش الثراء والنفوذ. على أيّ حال، كان يستغل سلامتها المزعومة لكي يراقب أكثر من مجرد سلامتها.

إذا أراد علاقة أفضل معها، فلن يحصل هذا عبر المحافظة على سلامتها. لعلها الطريقة التي يفضّلها فهو يشعر بأنه يؤدي واجبه الأبوي من دون أن يورط مشاعره.

قال مقاطعاً أفكارها: «التحري الذي استخدمته ماهر تماماً».

- حتى أفضل رجال التحري يخطئون.

- ربما.

لكنها أدركت أنه لم يصدقها. وبدلاً من أن يزعجها ذلك، ضحكت: «يمكننا أن نعود إلى شقتي لأتمكن من أن أثبت لك

www.elromancia.com

ذلك».

لكنه بدا بعيداً عن المزاج الحسن ولمعت عيناه بتحذير لم تهتم به، وقال: «أتحاولين أن تصدميني؟».

فردّت وقد تملّكها الطيش: «بل أتحداك».

لم تعلم ما إذا كان شعورها ناجماً عن عرض الزواج الذي لم ترد فيه كلمة حب واحدة أم عن ذكريات تفضّل أن تنساها، أم عن الأدلّة الجديدة التي تشير إلى أن أباها لا يريد أيّ علاقة عاطفية بها. لكن يكفيها ما رأته من قسوته وتأنيبه وعنفه طوال حياتها.

عليها اللعنة إذا كانت ستتزوج من رجل قد يعاملها على طريقة أبيها. إنها لا تريد أن يكون ساندور كأبيها، فهي لا تحتمل أن تكون علاقتهما بهذه البرودة والفتور.

قال بمزيج من الظرف والغطرسة: «لماذا تشعرين بالرغبة في أن تتحديني؟».

- لماذا لا ترغب بي بما يكفي لإغرائي؟

- لقد أخبرتك.

- ستنتظر حتى ليلة الزفاف.

- نعم...

- لا أدري لماذا تريد أن تتزوجني... فأنت لا تحبني.

- وهل كل صديقاتك تزوجن بسبب مشاعر عابرة سريعة الزوال؟

لم تشأ أن تدعي أن معارفها كلهم تزوجوا بدافع الحب فأجابت: «لا. لكنني لست مثلهم وأنا أنوي الزواج بسبب تلك (المشاعر العابرة). أنا أريد من الزواج أكثر من مجرد ارتباط عمليّ بين شخصين».

إنها تريد من الحياة أكثر من ذلك لكنها لا تدري كيف تناله.

بعض الناس يحصلون على الحب بسهولة ما عداها لكن هذا لا يعني أنها تخلّت عن الأمل.

- وستحصلين على أكثر من ذلك، فنحن متناسبان من النواحي كافة. ستكون لدينا أسرة، حتى أنك ستستمتعين بصحبة أمي.

- إنها ذات شخصية محببة، لكنك تقول هذا وكأنه أمر بالغ الأهمية.

- هذا مهم فعلاً لأنني أريد لأمي أن تعيش بجانبي كأيّ ابن يوناني صالح.

- أنا لا أمانع في العيش مع أمك، لكنني لست واثقة من ابنها إلى هذا الحد.

- أنت إذن تدرسين عرض الزواج هذا؟

أخذ قلبها يخفق بسرعة، وضاق صدرها. إنها تدرس عرضه فعلاً مهما بلغ عدم إيمانه بالحب. خشيت أن تكون قد وقعت في غرامه... أو أنها تسير بسرعة في ذلك الطريق. يا لها من فكرة مفزعة! وقالت: «نعم. لكنني لا أستطيع أن أعطيك الجواب الآن».

- لكنك كنت تتوقعين ذلك بكل تأكيد.

- من الغريب أنني لم أكن أتوقعه. سبق وأخبرتك بذلك.

فتنهد: «نعم. لكن لابد أنك فكرت في احتمال ذلك على الأقل».

لم تعرف ما تقول، وهزّت كتفيها، فهي واثقة من أنه غير مستعد لعلاقة عميقة.

وعاد يقول: «ألا يمكنك أن تقرّري ذلك الآن بعد ما عرفته عني وعن نفسك؟».

- لا.

www.elromancia.com

فإذا قررت الآن سيكون الجواب سلباً. وقلبها يطالبها بهذا الجواب ويرفضه في الوقت نفسه.

- هل هذا بسبب ماضيّ؟

فحدّقت فيه: «لا أعرف ما يكفي عن ماضيك. وأرجو ألّا تكون قد عنيت أنني من ذلك النوع المتكبر من النساء اللاتي لا يتزوجنّ إلّا ممن هم من طبقتهن».

- أنا لا أقول هذا. لا. في الواقع، رفضك الحكم على الناس تبعاً لطبقتهم الإجتماعية يسرني جداً.

- أنا مسرورة، لأنني لا أريد أن أغير هذا الجزء من نفسي.

- وهل ترغبين في تغيير نواحٍ أخرى؟

- الناس ينضجون... والتغيير لا مفر منه، لكن هذه الناحية لن تتغير.

- يسرّني ذلك.

- لكنك انزعجت لأنني لم أقبل عرض الزواج حالياً.

- لست منزعجاً... بل خائب الأمل. ظننتك تدركين فوائد الزواج بيننا.

إنه خائب الأمل لكنه لا يتألم ما يعني أن عواطفه لا دور لها في ذلك. لم يكن هذا يبشّر هذا بالخير. عضت شفتها، وهي عادة سيئة لديها عندما تشغل بالها أمور عديدة.

- آسفة. لست مثلك أو مثل أبي، فأنا لا أتخذ قرارات شخصية على أساس عمليّ.

- على أي أساس تتخذينها؟

- الإحساس.

لوى شفتيه نفوراً، تماماً كما توقعت. إنه يشبه أباها في كثير من

الأمور، واشتبهت في أنه يرغب في الالتزام عاطفياً أكثر من أبيها.

أخذت رشفة من الماء وعادت تقول: «أعلم أن هذه الكلمة تافهة بالنسبة إليك وإلى الرجال أمثال أبي، لكن هذا ما أريده لحياتي. عليك أن تمنحني بعض الوقت للتفكير».

ساد بينهما الصمت ثم دفع علبة الخاتم نحوها: «ضعيه في حقيبتك. سنناقش مسألة الزواج في ما بعد».

لم تعرف لما أرادها أن تأخذ الخاتم. ربما إذا أخذته سيصعب عليها أن ترده رافضة الخطبة. هذا الرجل من المكر بحيث يفكر في كل شيء.

- أرجوك أن تحتفظ به حتى أعطيك جوابي.

- أفضّل أن تحتفظي أنت به.

- حتى لو قلت لك لا؟

- لقد جعلت الخاتم يصنع لك، ومهما كان جوابك فقد صُنع لك.

فكّرت ملياً في قوله هذا ثم فتحت العلبة. كان فصّاً كريماً مربع الشكل بلون عينيها بالضبط، بزرقة البحر المشوبة بالخضرة، وعلى جانبيه ماسات مربعة بصفاء البلور، أصغر من الفص بقليل.

تملّكتها مشاعر لا مكان لها في نقاشهما، وقالت بصوت أجش: «شكراً. إنه رائع».

- مثلك.

هزّت رأسها مبعدة هذه الكلمات الفارغة، ثم قالت: «أنا لست كذلك».

- بعد كل ما قلناه الليلة عن الصدق، أتظنين أنني أكذب بهذا الشأن؟

www.elromancia.com

- أظنك تريد أن تسّرني. ولكن لدي مرآة. إنني مقبولة الشكل ولست رائعة الجمال. عليك أن ترى صور أمي، كانت رائعة الجمال.

وقد أخذت معها إلى القبر ما كان في قلب جورج وينتويرث من مشاعر.

- أنت تعرفين المثل الذي يقول: (الجمال في عيني الناظر).

- نعم.

- وأنت رائعة الجمال في عينيّ يا إليانور.

- المدح الزائف لن يجعلني أوافق على الزواج منك.

قال مزمجراً بصوت خافت: «ليس زائفاً».

لقد استطاعت أن تجتنه مرة أخرى.

- حسناً، إذا ما قلت ذلك حقاً...

- نعم. إن جمالك أبدي، وجذاب للغاية بالنسبة إلى رجل عاش الماضي الذي عشته.

- لا أفهم.

ما صلة ماضيه بذلك؟

- أنت بالغة الرقة واللطف وعطوف للغاية. تحاولين أن تحسّني حياة أولئك المولودين بدون مزاياك. اهتمامك بالآخرين متأصل في أعماق روحك. وبذلك، تذكرينني كثيراً بأمي. جمالك الجسدي مكتمل بالنسبة إليّ. ملامحك أنثوية ورقيقة، وبقدر ما تثيرين رغبتي، أنت أنيقة ورشيقة ومهذبة، حتى في سروال الجينز والقميص المقفل. هذه الملابس جميلة جداً في عينيّ.

لم تجد ما تقوله. أحست بأنه يعني ما يقول وهذا ما ترك في نفسها تأثيراً عميقاً. كانت تدرك أنه لا يعرف عنها الكثير، لكنه أثبت

لتوّه بأنه يعرف شيئاً عن المرأة في داخلها وخلف صورة ابنة الرجل الثريّ.

قالت: «المدارس الخاصة والتدريب على حسن التصرف يمكن أن تفعل الأعاجيب».

حاولت أن تنهي الموضوع بالضحك بينما قلبها يخفق حتى دار رأسها. وقال: «لقد ولدت مع هذه المزايا فالمرء لا يتعلّمها في المدارس».

- لكنك تعلمت ذلك.

- أنا بعيد تماماً عن اللطف والعطف.

وبما أنها تعرف معاملته لأمه، عارضته: «أنا لا أوافقك الرأيّ، لكن هذا ليس ما كنت أتحدث عنه».

- ما هو إذن؟

قالت وهي تشير إلى المطعم برأسها: «كيف تتلاءم مع المجتمع الذي نعيش فيه».

- أنا لا أتلاءم مع ذلك.

- بل تتلاءم.

ومع ذلك، كان على حق نوعاً ما. كان يرتدي بذلته الثمينة المخاطة باليد وكأنها صممت من أجله. لكن أحاطت به هالة من القوة هي نتيجة العمل الشاق والعزم، وليس الثراء. لكنته اليونانية الخفيفة، أسلوبه المباشر... هذه التفاصيل كلها تحدث عن رجل لم يولد في عالمهم.

لكنها لم تكن هي أيضاً تتلاءم مع عالمها.

- أخبرني عن طفولتك.

اتسعت عيناه: «لماذا؟».

www.elromancia.com

- أحب أن أعلم.

توتر فكه: «وإذا لم أشأ أن أخبرك؟».

- سأرسل من يتحرى عنك.

وابتسمت وهي ترى الصدمة على ملامحه ثم ضحك فضحكت معه وقال: «لقد ولدت في اليونان».

- فقالت مداعبة: «هذا ما أعرفه».

- لقد عشنا هناك مع جدي حتى أصبحت في العاشرة.

- (عشنا)؟

- أنا وأمي التي كانت وحيدته.

- أين كان أبوك؟

- كان قد رحل.

في الأمس، كانت لتحترم الحدود التي تشعر بأنه يضعها بينهما، لكنها لن تفعل اليوم بعد أن عرض عليها الزواج. فسألته: «ماذا تعني بقولك إنه رحل؟».

- كان سائحاً أميركياً جاء إلى الجزيرة ليومين فقط. وعندما أدركت أمي أنها حامل، كان قد رحل منذ وقت طويل. حتى أنها لم تكن تعرف شهرته.

ولم تظهر في لهجة ساندور أي إدانة... لأمه على الأقل.

- لابد أن هذا كان صعباً جداً عليها.

- نعم، ولكن كان في الإمكان أن تسوء الأمور أكثر. فجدي لم يطردها من البيت بالرغم من العار الذي ألحقته به بل ساندنا طوال السنوات التي تلت.

ولكن بأي ثمن؟ من المؤكد أن ساندور لم يخرج من ذلك البيت سالماً.

- وماذا عن جدتك؟

- كانت قد ماتت قبل سنة. وكان جدي يقول دوماً إنها محظوظة وإلا لقتلها العار.

- يبدو أنه كان رجلاً قاسياً.

- كان كذلك نوعاً ما. لكنه كان يحب أمي كثيراً فاهتم بها رغم أن ما فعلته أضرّ به كثيراً.

- كانت صغيرة السن.

لابد أن هيرا كريستوفايدس كانت مراهقة عندما أنجبت ساندور لأنها تبدو الآن في الأربعين.

- كانت في السادسة عشرة من عمرها وقد سامحها جدي. لكنه لم يسامح قط الرجل الذي جعلها تحمل.

- فالرجل عديم الشرف وحده هو الذي يجرّد الفتاة من عذريتها من دون زواج على حدّ قوله.

- نعم. ودم ذلك الرجل يسري في عروقي.

قالت له: «أنت لا تعلم ما إذا كان سيعود إليها لو علم أنها حامل».

- لقد علم أنها عذراء لكنه تركها. لم يعد قط ليرى ما حدث لها. لم يهتم.

- ربما. لعله لم يكن أكبر منها بكثير. ربما ثمة سبب منعه من العودة.

- نعم. كان مراهقاً لا يشعر بالمسؤولية وغير مستعد لمواجهة نتيجة عمله.

- إنه مراهق، كما تقول. وربما لم يخطر في باله قط أن لعمله ذاك نتيجة.

www.elromancia.com

- الجهل لا يغيّر النتيجة.

- هذا صحيح. لكنني أعتقد أنك لم ترث عدم الشعور بالمسؤولية عن أبيك.

- لقد ورثت هذه الصفة عن جدي وأمي.

- لا تستطيع أن تعلم ما إذا ورثت شيئاً عن أبيك ما دمت لم تعرفه.

لم تعرف لماذا تجادله، ما عدا أنه من المهم أن تجعله يدرك أن الحياة ليست بيضاء وسوداء فقط كما علّمه جده.

- لماذا تسألين؟ هل أنت قلقة من أن أكون قد ورثت عنه خصالاً سيئة؟

فتنهدت: «أكره هذا القول لأنه خطأ. فحتى لو لم يكن يتحلّى صفة جيدة، لا علاقة له بشخصيتك الحالية».

- لا يرى الكل الأمور بهذا الشكل.

- أعلم ذلك، لكنني على صواب.

- لعلي لست المتغطرس الوحيد على هذه المائدة.

فقالت مداعبة: «معرفتي متى أكون على صواب ليست غطرسة».

- عليّ أن أتذكر هذا الكلام.

- افعل ذلك. لكنني لا أظنها فكرة جديدة بالنسبة إليك.

ابتسم من دون تعليق فعادت تقول: «المعلوماتك الخاصة، أولاً، أنا مسرورة لأن أباك تصرّف كما فعل، وأراهن على أن أمك لم تندم على ذلك، هي أيضاً».

تلاشت ابتسامته وبدت ملامحه وكأنها قدّت من الصوّان: «لماذا تقولين هذا؟».

- لأنه، لو فعل ذلك، لما كنت أنت هنا.

- وهل تظنين هذا أمراً حسناً؟

- نعم، وأنا واثقة من أن أمك توافقني الرأي.

- لكنك مترددة في الزواج مني.

- أسبابي لا علاقة لها بواقع أنك شخص مدهش يسرني أنه حيّ.

رفع حاجبيه: «ما هي أسبابك إذن؟».

- الأهم، ما هي أسبابك أنت؟

www.elromancia.com

٣ - أريدك

- سبق وشرحتها لك... أراك رائعة الجمال ظاهراً وباطناً. وأنا مستعد للزواج وإنشاء أسرة. وأريد أن يكون ذلك معك.

كان ساندور يعلم بالغريزة أنه إذا ذكر الصفقة التي عقدها مع أبيها فستحبطها إليانور.

لم يكن هذا هو السبب الأقوى الذي يدفعه لأن يتزوجها، لكنه لعب دوراً في ذلك. وخشي أن تؤثر هذه المعلومة سلباً في موقفها، فهي لن تتخذ قرارها على أساس رغبة رجال مثله ومثل أبيها.

أرادت أن تتزوجه لسبب عاطفي، فهي تريد أن تكون محبوبة. وقد أدرك ذلك لكن هذا ليس ما يمكنه أن يمنحها إياه أو يريد أن يمنحها أياه الحب شعور يمنحونه من الأهمية أكثر مما يستحق، فهو يفضل أن يبتعد عنه. كان يحب جده وأمه، وهذا الحب جاء نتيجة ضعفه وعجزه عندما لم يكن لديه خيار آخر أو شخص آخر. تعاسة أمه كانت تؤلمه إلى حد لم يدع أيّ شعور آخر يلمسه. رفض جده لوضعه الشاذ ترك في نفسه جروحاً جعلته يقسم ألّا يدع شخصاً آخر ينافسه. عليه أن يقنع إيليانور بأن ما بينهما من شغف يغنيهما عن الحب الذي لا يريده.

- قالت أمي إنها وقعت في غرام أبي من النظرة الأولى.

لم يعرف لماذا ذكر هذا، لكنه يدعم حججه، ولهذا لم يندم. وتابع يقول: «المشاعر التي تظنينها تشفي الآلام هي، في الواقع،

أول مسبّب لها. حبها له قادها إلى الاستسلام له. وحب جدي لها أبقاها معه رغم أنه كان بإمكانه ألّا يسامحها على سلوكها الأحمق. حبه لي جعله يبالغ في دفعي قدماً أكثر مما لو كنت ابنه. لم يسمح لي بأن أكون كالذي أنجبني، عديم المسؤولية والشرف. دروسه كانت مؤلمة غالباً لكني أعلم أنها بدافع الحب.

- الحب لا يسبب الألم دائماً.

- بل هو كذلك، وأنا لا أريد في زواجي الألم الذي لا مناص منه بسبب الحب.

شهقت، فعبس. لقد قال أكثر مما كان ينوي أن يقوله. ولكن إذا كان في الحقيقة ما يقنعها، فهو لن يبخل بها عليها.

- ما الذي تريده؟

كانت عيناها الفيروزيتان مليئتين برقة لامست أعماق روحه.

حدث ذلك منذ اللحظة التي رآها فيها في الحفلة الراقصة الخيرية. كانت مع أبيها، وتملكت ساندور الرغبة بهذه المرأة التي بدا واضحاً أنها من العالم الذي يريد إن يغزوه، من دون أن يميل إليه.

- أريد أولاداً. ورثة لكي يرثوا ما بنيته ويبنوا معه. أريد أن أرضي المرأة التي ضحت كثيراً لكي تمنحني الحياة وتبقيني معها. حتى في اليونان ومنذ ثلاثين سنة، كان بإمكان المرأة أن تجد طرقاً تنهي بها حملاً غير مرغوب فيه لكنها لم تفكر في ذلك.

- وما أدراك؟

- لقد سألتها.

التمع في عين إليانور ذلك العطف الذي يحبه للغاية. كانت نوع المرأة التي يريد أن يمضي معها بقيّة حياته. المرأة التي بإمكانها أن

www.elromancia.com

تهدئ الشياطين الهائجة في داخله.

- هل تريدك أمك أن تتزوج؟

- أنت تعلمين أنها تريد ذلك.

ابتسمت إليانور: «حسناً، إنها لا تخفي هذا. لكنني أتصوّر أنها تلمّح إليه كلما خرجت مع امرأة».

- في الواقع، لا.

قالت مازحة: «أتعني أنني غير عادية؟».

فأجاب: «نعم. لقد لمّحت لي بما يكفي، ولكن ليس كلما خرجت مع امرأة، حتى جئت أنت».

- أنها تريد أحفاداً. الكثير منهم.

- نعم، وماذا عنك أنت؟

- أنا أصغر من أن أكون جدة.

كانت هذه إحدى الصفات التي يحبها في إليانور. فهي تمازحه وتغيظه وتجعله يبتسم، كما أنها دائمة الابتسام. وقال: «أعني، أتريدين أطفالاً؟».

لم يشك في الجواب فهي مناسبة جداً للأمومة لكنه يريدها أن تقول ذلك بنفسها.

- نعم. كثيراً جداً.

- هذا ما ظننته.

فجاء دورها لتعبس: «أنت تظن أنك تعرف كل شيء».

- لا يبدو ذلك، فقد ظننتك ستقبلين عرض الزواج من دون نقاش تافه.

سألته بنعومة: «نقاش تافه؟».

وأدرك فجأة أنه يسير على أرض تهتز تحت قدميه.

- ظننت أنه لن يكون قراراً صعباً عليك.

- كان ليصبح أسهل لو قلت إنك تحبني.

لم يستطع إلّا أن يحترم شجاعتها وصدقها، وسألها: «أتريدينني أن أقول ذلك؟».

- أتعني الكذبة التي توصلك إلى النتيجة التي تريدها؟ ماذا عن إصرارك على نيل الحقيقة مني؟

- أخبرتك بأنني لن أقبل بأقل من ذلك.

وخطر له أنهما يحددان معنى الصدق بشكل مختلف، لكنه نبذ القلق وقال: «سأمنحك كل الولاء وأكرس نفسي لسعادتك كما قد يفعل الرجل الذي يصرح لك بشعور الحب هذا. لن أكون كاذباً عند نطقي بعهود الزواج إذا احتجت لأن تشعري براحة أكبر بالنسبة إلى حياتنا الزوجية».

- ما عدا أنك لا تكّن ذلك الشعور ولا تريد أن تشعر به. سيبقى هذا كله كذباً يا ساندور.

- لكن النية وهي تكريس نفسي لسعادتك ليست كذباً.

- نحن نرى الأمور بشكل مختلف تماماً. فأنت لا تريد الحب وحسب، بل لست واثقة من أنك تؤمن بالحب الشاعري وإلا لما تحدثت بابتهاج عن نطقك بعهود الزواج وكأن هذا ما هو مطلوب فقط. مجرد كلمات.

- الحب الشاعري أمر لا خبرة لي به.

بأن الألم في عينيها الزرقاوين الجميلتين لكنه سرعان ما تبدّد بحيث لم يعد واثقاً تماماً مما رآه.

- هل يرضيك أن أعدك بألا أقول العهود تلك لأي امرأة أخرى؟

www.elromancia.com

- أيمكنك أن تعد بذلك؟ وماذا لو وقعت أنت في الحب؟ ألا تحبني لا يعني أنك لن تقع في حب امرأة أخرى.

- لا أريد أن أحب امرأة أخرى.

- هذا ليس دوماً خياراً شخصياً.

- سأحافظ على عهودي. وثقتك بي من هذه الناحية تعود إليك.

- أنا أثق بك.

تملّكه شعور بالانتصار وقرأت ذلك على ملامحه فقطبت: «أنا لم أقل إنني سأوافق على الزواج، لكنني ابتدأت أفهم سبب طلبك الزواج مني على الأقل».

- ظننت هذا واضحاً.

- ها أنت ذا تخطئ مرة أخرى. قد يكون هذا مسيئاً إلى غرورك كرجل، لكن الأسباب التي جعلتك تختارني لأشاركك بقية حياتك ليست واضحة أبداً.

فقال مازحاً: «يوماً ما ستكثرين من إغاظتي».

- وماذا ستفعل أنت؟

- ربما أقيم علاقة معك فأقتل تنين الشكوك على الأقل.

- أتظن أن إغواءً مخططاً له سيخفي حقيقة أنك تجد سهولة في التحكم في شهوتك معي؟

- أظن، يا صغيرتي، أن ثمة أمور في أعماقك عليّ أن أكتشفها.

خاف أن تعنفه لقوله هذا، لكنه عاد يقول: «ثقي بي، فليس سهلاً عليّ أن أتحكم برغبتي بقربك».

- لأنك لا تريد أن تكون كأبيك.

- هذا أحد الأسباب.

- أخبرني عن سبب آخر.

- إذا لم تقبلي بالزواج بي، فلن أمضي بقية حياتي مولعاً بامرأة لا يسهل الوصول إليها.

انفجرت ضاحكة وهي تراه يعنيها بقوله هذا. ولكن كان ثمّة شيء من الحقيقة في قوله هذا.

فقد سبق والتزم بها. ولم يكن يخدعها، فهما سيتزوجان. إنه ليس بالرجل الذي يسمح أن تحبط مساعيه إذا أراد شيئاً.

وهو يريد أن يتزوج إليانور ونيتويرث.

عندما وصلا إلى شقة إيلي، طلب منها البطاقة التي تسمح له بركن سيارته في قسم الزائرين من المرآب تحت المبنى.

سألته وهو يوقف سيارته: «أتفكر في الصعود معي لقضاء بعض الوقت؟».

انتظر حتى نظرت إليه وسألها: «وهل تفكرين في أن تدعيني؟».

كانت تفعل هذا، عادة، لكنها تفضل الليلة أن تحصل على بعض الوقت للتفكير.

مدّ يده وطوّق رقبتها: «ادعيني إلى الصعود معك فأنا لا أريد إنهاء، هذه السهرة».

لمسته الخفيفة هذه أحدثت في كيانها زلزالاً.

سألته مدركة بأنها لن ترفض طلبه إذا أصرّ على البقاء: «حتى لو لم تحدث النهاية التي ترجوها؟».

- أنت لم ترفضيني، وهذا يكفي.

- أحقاً؟

- علمتني الحياة الصبر إذا ما أردت شيئاً.

- استعجال الأمور يفسدها.

www.elromancia.com

ما كان لها أن تتجاوب معه وكأنه قال كلاماً ساحراً مثيراً؟ لكن المشكلة أنه قال ذلك بصوته الخفيض المثير الذي هز مشاعرها منذ سمعته لأول مرة. كان يتحدث عن إقناعها بالزواج منه.

قالت بلهجة أرادتها مرحة، محاولة أن تخفف من ردّ فعلها فلا يحوي الكثير من الإغراء: «فهمت. أنا إذن الشركة المتحدة التي تريد أن تنشئها؟».

- أنت المرأة التي أود أن أتزوجها وليس شركة أخطط لشرائها. لكن ثمة تشابه. نعم.

لم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسام بجفاء. فهذا كل ما يعرفه بالإضافة التي دروس الشرف التي علمّه إياها جده. وارتجفت وهي تفكر في وضعها لو أنها تربّت على يدي رجل يحبها ولكن ليس بما يكفي ليرى أبعد من ولادتها غير الشرعية. رجل أراد أن يتأكد من أن ما يعتبره خصلة سيئة لن تظهر في حفيده.

لو كان الجد لا يزال حياً اليوم، لأسمعته إيلي بعض الكلمات القاسية... لكن، ومن ناحية أخرى، ما كانت أمه لتترك اليونان مصطحبة ابنها معها، ولما عرفت هي ساندور، وتجمّدت لهذه الفكرة. قالت وهي تتنهد مهزومة: «هيا بنا نصعد».

أرادت أن تمضي معه وقتاً، فهي متلهفة إلى وجوده بجانبها تلهّف المدمن إلى المخدّر. لطالما اعتبرت أنها قادرة على التحكم في نفسها، لكنها مع ساندور، فقدت قدرتها تلك.

وكان هذا سبباً جيداً لعدم إعطائه جواباً على عرض الزواج الليلة.

نزل من السيارة ثم دار حولها ليفتح لها بابها. إنه سيد مهذب على الدوام، أكثر ممن ولدوا في الثراء والمجتمعات الراقية.

ساعدها على النزول من السيارة وعندما وقفت وضع يده على ظهرها فأدركت أنه يفعل ذلك دوماً فيقودها إلى حيث يريده بشكل متملك.

أبقى يده على ظهرها حتى في المصعد... يبدو أنه يفعل هذا كثيراً... إنه يلمسها وكأنها ملك له.

ساد الصمت في المصعد المتوجه إلى شقتها في الطابق الخامس، ولم يفكر أحدهما في كسره. كانت تائهة في أفكارها، وشعرت بأن ساندور راض بتركها بهذا الشكل.

انتظرها بصمت ريثما فتحت الباب وعطلت جهاز الإنذار، وفتحت القفل المزدوج على الباب الفولاذي، ثم دفعته فانفتح قبل أن تقوده إلى الداخل.

- أعجبني الأمان هنا.

فضحكت وقالت: «استأجرت شقتي في بناية آمنة لكي أقنع أبي بالسماح لي بالانتقال نهائياً من بيتنا. ولم يكفه هذا فأهداني جهاز إنذار من شركة «الأمن الأساسي»».

- لقد تعاملت مع تلك الشركة بنفسي. إنها جيدة جداً.

- هذا رأيي أيضاً. كما أن التقني الذي ركّب الأجهزة رائع للغاية.

فسألها بصوت خشن: «أحقاً كان كذلك؟».

- كان لذيذاً لكنه قصير بالنسبة إليّ. لقد حضر من المكتب الرئيسي في صقلية، قاطعاً تلك المسافة كلها. طلب أبي الأفضل.

- عليّ، إذن، أن أكون شاكراً لأنني ورثت بعض الجينات.

نظرت إلى طوله البالغ مئة وتسعين سنتمتراً، وقالت: «أراهن على أن هذا شيء جيد ورثته عن أبيك».

عبس ساندور لكنه لم ينكر ذلك، فطول أمه لا يتجاوز المئة وخمسين سنتمتراً. وقالت وهي تقوده إلى غرفة الجلوس: «كلنا نرث عن آبائنا، راجين أن نرث الأفضل. وقد ورثت أنا عناد أبي. اسأله».

انتظر حتى جلست على أريكة منجدة بالجلد الأصفر وجلس بجانبها: «لا حاجة بي لسؤاله، فقد لمست ذلك بنفسي».

ضحكت مرة أخرى، مسرورة للغاية بوجودها بجانبه في مثل هذا الوقت. خلعت حذاءها وثنت قدميها تحتها ملتفتة إليه قليلاً.

لم يبتسم تجاوباً مع ضحكها، بل أخذ ينظر إليها متفحصاً: «أنت تفهمين حاجة أبيك لأن يحميك».

تنهدت: «أنا أحبه كثيراً. وأفهم أنني، بصفتي الوريثة الوحيدة لرجل بمثل ثراء أبي، معرّضة للخطف».

- ومع هذا أصررت على العيش وحدك.

- أنا لا أعيش وحدي بالضبط، أليس كذلك؟ إن الفريق الأمني الذي عيّنه لحراستي يسكن في الشقة المجاورة لشقتي. وهم يراقبونني كما يراقبون شقتي عند غيابي عنها.

- أما كان من الأسهل لك أن تعيشي في بيت أبيك؟

- ربما. لكني أتمتع هنا بالاستقلالية أكثر مما لو كنت بقيت في المنزل.

كان من الأسهل عليها أيضاً أن تقنع نفسها بأنها لا ترى أباها كثيراً لأنهما يعيشان متفرقين، وليس لأنه لا يهتم بها بما يكفي ليخصص لها بعض الوقت. وتابعت تقول: «كما أنني لا أريد أن تملي عليّ أموال أبي كل تفاصيل حياتي».

- هل تفضلين العيش من دون حرّاس؟

- نعم.

- لكنك تقدمين تنازلاً احتراماً لمشاعر أبيك وخوفه عليك.

- إنه الأمر الواقع... ولكن ألا تفعل أنت الشيء نفسه مع أمك؟

ابتسم وهو يلقي بذراعه على ظهر الأريكة، وقال: «هذا مؤثّر».

لفّتها رائحته. رائحة محلول ما بعد الحلاقة التي امتزجت برائحته الخاصة. لقد قرأت مرة أن حاسة الشم عند المرأة أقوى مما هي عند الرجل، لكنها المرة الأولى التي تشتم فيها الرائحة الخاصة برجل، ربما لأنه فريد من كافة النواحي.

حرارته ورجولته أثارتا انتباهها، لكنها أرغمت نفسها على التحدث إليه بدلاً من أن تقترب منه: «أراهن على أنك تجد صعوبة في تخصيص بعض الوقت لتناول العشاء مع والدتك أو القيام بنزهة قصيرة معها كما أفعل أنا لأسمح لأبي بأن يبقي رجال الأمن لحراستي».

- أظنك محقة، رغم أنني لم أفكر في الأمر من وجهة النظر هذه أبداً. ما أعرفه هو أنني قررت منذ كنت صغيراً أن أمنح أمي الحياة التي كان يُفترض بأبي أن يقدمها لها.

شيء ما في ملامحه أنبأها بأن قوله هذا أدهشه بقدر ما أدهشها. كان ذا شخصية فريدة تماماً وهو يشاركها أحاسيسه هذه بشكل غير عادي.

ربتت على ذراعه بخفة وهي تقول باسمة: «حسناً، أرى أنك حققت ذلك الهدف وأكثر».

- أتظنين ذلك؟

ابتسمت وقد تألقت المشاعر في عينيها لسؤاله هذا، وكأن ثمّة

www.elromancia.com

شك في الأمر: «يخيّل إليّ أن أباك كان ثرياً وليس مراهقاً. لقد تجاوزت كل ما كان سيفعله لها، لو بقي معها».

- أظنك ربما على حق.

الرضى البالغ في صوته حدثها بأمر آخر عن هذا الرجل الغامض الذي يريد أن يتزوجها.

لديه إمكانات ليثبت ذاته لنفسه ولجده وللأب الذي لم يعرفه قط.

تذكرت دورها كمضيفة، فسألته: «أتريد قهوة أم شاي أم عصير؟».

- لا شيء. شكراً.

ارتجفت للطريقة التي نطق بها كلماته وقالت تذكّره: «حضورك إلى هنا فكرتك أنت».

- لكي أخفف من قلقك حيال الزواج وليس لكي أحتسي مزيداً من الشراب.

يا له من نبيل! وسألته: «أتريد أن تهدئ مخاوفي؟ بأي طريقة؟».

مال نحوها إلى حد شعرت معه بحرارة جسده، وقال وعيناه كالمغناطيس: «خمّني».

- ماذا عن الشرف الذي يمنع أي علاقة قبل الزواج؟

كانت قد صممت على طرح هذا السؤال بسخرية لكن صوتها بدا لاهثاً ولهجتها مغرية للغاية. اللعنة!

- أنا مصمم على الزواج بك، وتحديد الموعد راجع إليك.

بدت كلماته عفوية، وأدركت أنه يريد حقاً أن يتزوجها. إنه لا يأمل ذلك أو يرغب فيه بل لديه خطة وهو واثق تماماً من نجاحها.

- لا بأس إذن في أن تغري عذراء إذا كنت تريد أن تتزوجها؟

وعاد مرّة أخرى ذلك الصوت اللاهث الذي أخذ يضغط على

أعصابها.

بدت وكأنها تريده أن يطمئنها، لكن هذا ليس صحيحاً. ليس بهذه الطريقة... فهي لم تقرر... بل ساندور هو من فعل، وهو الذي وضع البرنامج. لقد أدركت ذلك منذ البداية، لكنها لم تتوقع أن يفرض عليها هذا الجزء من علاقتهما.

قال من دون اهتمام: «قلت إنك لست عذراء».

ما زال يشك في كلامها. لماذا؟

نعم. إنها تقارير حراسها، وتقرير تحريه الخاص. ولكن عليه أن يصدقها، أليس هذا ما يُفترض به أن يفعل؟

حاولت أن تفكر ملياً في الأمر لكن تجاوب جسدها مع قربه أثار انتباهها: «لو أني عذراء، هل ستغريني عمداً، ببرودة وعدم اكتراث؟».

ارتسمت على فمه ابتسامة أقلقتها، وقال: «أطمئنك إلى أنني سأكون بعيداً عن البرودة في ذلك».

- كما ترى، أبذل جهدي لكي أفهم كيف ستحاول أن...

كف ذهنها عن التفكير عندما رفع ذراعه عن ظهر الأريكة ووضعها حول كتفيها، ثم لامس رقبتها بإبهامه وهو يسألها: «نعم؟».

- نعم؟

اقترب منها أكثر: «ماذا كنت تقولين؟».

- كنت أقول... أنت... أنا...

وحاولت جاهدة أن تتمسك بالواقع.

فقال ساخراً بنبرة ضاحكة ممزوجة بانتصار الذكر: «أنا... أنت... ماذا؟».

أيقظت سخريته كبرياءها وذاكرتها فدفعت بنفسها إلى الخلف

www.elromancia.com

بعيداً عنه: «ما زلت لا أفهم كيف تتوقع أن تقنعني بعواطفك المحمومة بينما أنت تلمسني بنيّة إقناعي. هذا لا يختلف عن تقديم ضمان لزبون تريد اجتذابه».

بدت هذه الكلمات قاسية لذهنها المشوش، خصوصاً وهي تفكر في عدد الكلمات التي تمكنت من ربطها ببعضها البعض في جملة واحدة.

على أيّ حال، لم يهتم بكلامها هذا: «أعدك بألّا أنظر إليك كزبونة».

لم تكن واثقة من ذلك. فبعد أن نطقت بما كانت تفكر فيه، ترسخت هذه الأفكار في ذهنها بشكل مدهش.

تقدّم منها قائلاً: «أنا أريدك. وعندما أحصل عليك لن تتمكّني من تجاهل حقيقة رغبتي».

- أنت واثق جداً من نفسك.

وشبكت ذراعيها فوق صدرها وزمّت شفتيها.

ابتسم وكأنه رأى تصرفها هذا فاتناً ولامس بأنامله ذراعها الملاصق لجسدها، وقال: «حقيقة أنني واثق منك هو ما يزعجك، كما أظن».

تباً له، فهو على صواب! لكن لم يتسع لها الوقت لتفكر في هذه الحقيقة لأن ذراعيه أطبقتا عليها بتملك. لم يكن هذا عناقاً عابراً أو تمهيداً لإغرائها بل عناقاً حقيقياً كاد يفقدها وعيها. وتهالكت من دون أن تحاول دفعه عنها، ومن دون أن تستطيع حتى أن تدّعي أن هذا حدث لأن يديها عالقتان بينها وبينه.

ربما لو لم تستمتع بهذا العناق لشعرت بالحرج.

وشعرت بأنها تنتمي إلى هنا... إلى بين ذراعيه. لم تعرف مثل

هذه المشاعر من قبل.

أتراه أحس بذلك؟ وهل هذا سبب ثقته بنفسه؟ لقد أحس بذلك طبعاً... فهو أكثر حنكة وذكاء من ألّا يحس. لكن أياً من ذلك لم يكشف عن سبب رغبته في الزواج منها.

www.elromancia.com

٤ - تذكري هذا!

تأوّه وجذبها إلى أحضانه. سواء أكان قد قرر ذلك أم لا، فقد ثارت مشاعره وارتجفت يداه اللتان تمسكان بها. لكن هذا أكثر بكثير من مجرد شعور جسدي إذ أحبت هذا الرجل وقلبها يتلهف إليه بقدر جسدها.

- أحب أن أراك مستلقياً أمام المدفأة والنار تنعكس عليك.

اندهشت وهي تقول هذا كاشفة عن أحلام لياليها.

لم تظهر عليه الدهشة بل الاهتمام: «ثمة مدفأة في غرفتي. بعد أن نتزوج سيسرني جداً أن أساعدك في تحقيق رغبتك هذه».

- لم أقل إنني سأتزوجك.

لم تعرف من أين جاءها حضور الذهن لتقول هذا. هل هي غريزة حفظ الذات؟

- لكنك سوف تتزوجينني.

- ربما.

- سأقنعك بالزواج مني.

- حاول.

ربما نقص جرأتها في الماضي كان بسبب علاقة الحب الوحيدة القصيرة الأجل التي عاشتها وهي في التاسعة عشر. حينذاك، كان حبيبها أكبر منها سناً وأكثر حنكة.

وعندما عرفت ساندور انمحى من ذهنها ما بقي من ذكريات عنه.

لو كان ذلك الرجل كساندور قادراً على إثارة المشاعر، لما نسيت تلك العلاقة. حينذاك، ظنت أن قلبها مات تقريباً بسبب أنانيته وخيانته، لكن بعد خمس سنوات، اعترفت بأن الأمر كان يمكن أن ينتهي بشكل أسوأ بكثير. وهذه الحقيقة جعلت كل ما حصل معها مجرد ذكرى فاترة. ها هو ساندور هنا. إنها تحبه والألم الذي قد يسببه لها سيكون أقسى من أي شعور آخر تعرفه.

تملكها الذعر فبرد دمها الذي كان يغلي في عروقها. كانت قد تعلمت أن تتوقع القليل من أبيها، لكن هل يمكنها أن تتقبل البرود العاطفي الضروري للقبول بهذا النوع من العلاقة مع ساندور؟

إنها لا تريد ذلك حتى لو استطاعت. إنها لا تريد نصف حياة في زواجها بل تريد مشاعر متبادلة بينهما. ولكن هل هذا حلم أحمق؟

- ماذا حدث؟

كان ينظر إليها عابساً. طرفت بعينيها وحدّقت إليه ثم قالت: «لا شيء».

لكن هذا كذب، فقد كان ذهنها ينبض بالقلق بشكل مؤلم. يمكنه أن يؤلمها كثيراً. أتراها تريد أن تمنحه سيطرة أكبر على قلبها؟

إنه يريد أن يتزوجها، وهو لن يدعها ويرحل. لكن حبيبها الأول أراد أن يتزوجها هو أيضاً إنما دوافعه لم تكن كما ادعى حينذاك، أو كما تريدها هي. والحب لم يكن له أيّ دور في المعادلة. قال ساندور: «إنك تفكرين في أمر آخر».

- وهل هذا يزعجك؟

- نعم، نظراً لما كنا عليه.

- آه، غرور الرجولة. لا ضرورة لأن يتأثر غرورك إذ كنت أفكر فيك.

www.elromancia.com

هذه المرة كانت كلماتها أكثر سخرية مما نوت لكنها لم تستطع أن تغير لهجتها.

قطب جبينه: «حالياً، أريدك معي. لا أفكر في غير هذا».

كانت مشاعرها وأفكارها مشتتة للغاية، وتوقعت أن يكون هذا حال مشاعره وأفكاره أيضاً، لكن ساندور يعرف ما يريده وكيف يصل إليه.

كان عناقه حاراً للغاية ما بدّد مخاوفها وأفقدها قدرتها على التفكير، وجعلها تدور في دوّامة من المشاعر لم تستطع أن تتجاوزها.

- أريدك يا إليانور. فأنت كل ما يتمناه الرجل.

- قل إيلي.

أرادته أن يناديها بالاسم الذي تفضله وتظنه يناسب شخصيتها. هذا الاسم الذي عرفها به الناس بينما اسم إليانور لا يستعمله سوى والدها.

نظر إليها وعيناه تلمعان: «إيلي».

تمتمت: «ساندور...».

وتأوّهت فهمس في أذنها:

- هذه المشاعر العميقة التي بيننا حقيقية.

- نعم.

- صدقي هذا.

- ماذا تعني؟

- سبق وأخبرتك بأننا متلائمان.

ضحكت بنعومة لغطرسته، لكنها سرعان ما سكتت. إنه محق، فهي لم تعرف مثل هذه المشاعر من قبل. وهي تريد أن تشعر بها

مرة أخرى، وأخرى، وأخرى. أتراه يثير مشاعرها فقط لكي يقنعها بالزواج منه؟ أم أنهما خلقا لبعضهما البعض؟ إن لم يكن بالحب فبالرغبة والمودة؟

- سيسعدني جداً أن أحصل عليك زوجة.

- لم نتفق بعد على هذا، يا ساندور.

مال إلى الخلف وسمّرها بنظرة تعني (كوني جادة). كانت قد رأت هذه النظرة من قبل لكنها في وضعهما الحالي لم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك.

- أنا لا أجد هذا مضحكاً. ستتزوجينني يا إيلي.

لقد نطق باسمها كما تحب على الأقل. خنقت ضحكتها وأحاطت وجهه بكفيها: «رفقتك رائعة، لكنني ما زلت بحاجة إلى بعض الوقت لأفكر».

- لِمَ حاجتك إلى التفكير؟

- لأننا سنمضي حياتنا بطولها معاً يا ساندور.

- هذا بحاجة إلى تفكير.

فهزّت رأسها: «يا لك من رجل».

- هذا أنا.

وهب واقفاً واتجه إلى الباب، وهو يتابع من فوق كتفه: «لو أنني لست كذلك لما كنت ذا نفع لك».

لم تجادل منطقه هذا، حتى أنها لم تحاول.

تركها وخرج من دون أن يلحّ عليها مرة أخرى للحصول على جواب نهائي. بدا وكأنه واثق منها.

في الواقع، لم تهتم بالسبب الذي جعله يمتنع عن الإصرار عليها، بل كانت مسرورة لذلك.

www.elromancia.com

في اليوم التالي، لم يكن لديها وقت لتفكر في ما دار بينهما ليلة البارحة.

اتصل بها في فترة الصباح، لكنها كانت مع زبون فلم تسنح لها الفرصة لتجيبه إلّا أثناء ساعة الغداء.

- كنت أرجو أن نتناول الغداء معاً يا صغيرتي، لكنني أظن أن هذه الفكرة ألغيت.

نظرت إلى كومة السجلات التي وضعتها على مكتبها مستشارة أخرى قبل أن تذهب إلى بيتها لمرضها، وتنهدت: «نعم، لسوء الحظ».

- العشاء هذه الليلة؟ تود أمي أن تراك.

لو لم تأتِ الدعوة بهذا الشكل، لرفضت ربما. فهي بحاجة إلى بعض الوقت لتتمالك نفسها وتفكر وهذا لن يحدث أثناء ساعات النهار حيث انشغلت بعملها وعمل مساعدتها الغائبة. لكنها تحب أمه كثيراً وهي لا تنوي جرح مشاعر هذه المرأة الحلوة للغاية. وأجابت: «هذا يسرني جداً. متى تريدني أن أحضر؟».

- سآتي لآخذك في السادسة.

- أفضّل أن آتي بنفسي.

- وأنا أفضّل أن تكوني مرتاحة.

- أنت تعرف أن ثمة فرقة حراس تتبعني ما يجعلني آمنة جداً في الذهاب إلى منزلك والعودة منه.

- ومع ذلك، أفضّل أن اصطحبك وأعيدك بنفسي. هذا من امتيازات الرجل.

- ربما في القرن السابق.

- بعض التقاليد يجب ألّا تُلغى، كما أعرف أنك لا تحبين قيادة

السيارة.

ما يقوله صحيح. فهي تكره زحمة السير وتفضل الذهاب إلى عملها بالمواصلات العامة. أما بالنسبة إلى حراسها الذين يتبعونها كيفما توجهت فلم يكن هذا بيدها. كان بإمكانها أن ترضى بالسيارة مع السائق الخاص الذي عرضه عليها أبوها، ولكن بدا لها هذا شاذاً لأنها تعمل في مؤسسة عامة.

يمكنها أن تقود سيارة لكنها لا تحب ذلك وقد لاحظ ساندور هذا.

سألته من دون حدة: «أنت عنيد من هذه الناحية، كما أرى».

لم يكن لديها الوقت لتهتم بمشاعره، وربما كان عليها أن تشكره، لكنها لم تشأ أن تزيد من اقتناعه بأنه يعرف دوماً ما هو أفضل.

- هل تشكين في ذلك؟

لم تجب على سؤاله بل قالت: «سأراك في السادسة».

- إنني أنتظر بشوق.

عندما وضعت السماعة، تملكها شعور طفيف بالهزيمة لكنها لم تهتم. كانت تواجه مع أبيها العديد من المشاكل ومنها رفضه السماح لها بالخروج مع الشبان. كان معظم الرجال ينقادون بسهولة بالمقارنة معه.

وكانت تظن أنّ هذا ما تريده.

لم تشأ أن يستغلها أو يسيطر عليها أحد. لذا كانت حذرة جداً، تختار رجالاً من محيطها لا يتطلعون إلى ملايين أبيها، رجالاً غير عدوانيين أو متحكّمين، يتحدثون عن المساواة بين الجنسين أكثر منها.

www.elromancia.com

رجال ليس لديهم شخصية ساندور القوية.

وسرعان ما كان الضجر يتملكها من الرجل الذي تخرج معه، إلى أن دخل ساندور حياتها فأدركت ما كان ينقصها. كانت تريد رجلاً ذا كرامة وليس رجلاً تقوده بسهولة. إنها لا تطيق أن يتحكم بها أحد، لكنه لا يعرف ذلك وسيتعلمه. إنما شعرت أنها مسرورة بقوته البالغة.

كانت قد اكتشفت أن بإمكان هذا الرجل أن يكون قوياً وحساساً بالنسبة إلى مشاعرها، وهذا أكثر مما حصلت عليه قط من قبل. وعلى أيّ حال كان ساندور يهتم بها ويرعاها دوماً. وإدراكه أنها تكره القيادة ليس حدثاً فريداً فهو يراقبها دوماً.

وكان في هذا مختلفاً جداً عن أبيها. ومن يرى مدى التماثل في الرجلين يجد هذا الاختلاف جيداً جداً.

فضلاً عن ذلك، لم تكن تخشى أن تخدش كبرياه ورجولته لأنه لم يكن حساساً للغاية. إنه كما قال أبوها باستحسان، حسام ذو حدين. عدم إظهاره أيّ مشاعر نحوها انتهى بها إلى نوع من الثورة على كل ما يمثله من مبادئ، لكن ثمة جزء ضئيل منها بقي يرغب في نيل استحسانه. وما زالت في أعماقها تتمنى لو ترضيه فيحبها كما يحب الأب ابنته.

زواجها من ساندور سيرضي أباها بكل تأكيد. لكن شبهه بالرجل الذي حطم قلبها وعاشت معه أربع وعشرين سنة من عدم الاكتراث الكامل، جعلها تتردد. كيف يمكن أن تكون النتيجة غير ذلك؟

لا يمكنها أن تعيش بقية حياتها في تلك الصحراء القاحلة الخالية من المشاعر، حتى ولو أحبت زوجها.

رنين جرس الهاتف قاطع أفكارها القلقة. تركت العمل متأخرة ما

جعلها تسرع لتستعد للعشاء في منزل ساندور.

عندما جلست بقربه في السيارة، سألها عما فعلته في يومها هذا، وبقي يستمع إليها حتى وصلا إلى بيته. أن تكون هي محور اهتمامه أمر غير عادي. وسجلت له بسرور، أنه ليس نسخة كاملة عن جورج وينتويرث.

ساعدها على النزول من السيارة، فبقيت ممسكة بيده وقالت: «شكراً».

قطب حاجبيه: «علام؟».

- إصغائك إليّ. لا أتصور أن اهتمامي بمساعدة الناس في تحسين حياتهم أمر جذاب إلى ذلك الحد! لكنك لم تقل لي قط أن أخرس.

عانقها وقال: «أنت مخطئة».

- بالنسبة إلى ماذا؟

- كل ما فيك يهمني. لكن رغبتك في مساعدة الآخرين تدعو إلى الإعجاب كما أنها تجذبني.

- أنت رجل غير عادي، يا ساندور.

لكن هل هذا صحيح؟ إذا كان كل ما فيها يهمه، فلِمَ لا يعرف العنصر الأساسي في طبيعتها؟ وهو حاجتها إلى علاقة عاطفية بينهما؟

- تذكري هذا.

- هذا أمر لا يُنسى.

وابتسم ثم قادها إلى البيت.

www.elromancia.com

٥ - جريئة وبريئة

كانت هيرا كريستوفايدس مسرورة لرؤية إيلي كما توقّع ساندور فرحبت بها بحرارة.

- ما أجمل أن تأتي! أصبح ساندور مؤخراً أشبه بأسد في قفص لكن حالته تحسنت بوجودك...

وضغطت على يد إيلي وهي تجلس على أريكة فسيحة بيضاء وتشير إليها بالجلوس إلى جانبها.

- ماما. لا مانع عندي من أن تشبهينني بالأسد، لكنني لست حبيساً في قفص.

- ثمة أنواع كثيرة من الأقفاص، يا بنيّ. رغم أنني أوافق على أنك بالغ الشبه بالأسد سواء في القفص أو خارجه... لأنك ترى العالم وكأنه فريستك، تريد دوماً أن تنتصر وتنتصر.

وتنهدت وعيناها الشبيهتان بعينيّ ساندور مليئتان بالقلق، فيما هزّ ساندور كتفيه: «أليس هذا أفضل من أن أكون كسولاً؟».

كانت لكنته اليونانية تظهر بشكل أوضح عندما يكون بجانب أمه. وزمّت هذه شفتيها ونظرت إلى إيلي: «لا أستطيع أن أتصور هذا الشخص كسولاً. وأنت؟».

هزّت إيلي رأسها بوقار وشبه ابتسامة: «ولا أنا».

- أرأيت؟

ورغم أن إيلي تساءلت عن معنى هذا الكلام، إلّا أنها ابتسمت

من دون اهتمام بينما سأل ساندور: «ما الذي يُفترض بي أن أراه يا ماما؟».

- أن عملك طوال النهار هو القفص.

- هذا القفص هو أفضل من أي قفص آخر.

- ربما... ولكن من الأفضل ألّا تبقى محبوساً على الإطلاق. ألا توافقينني الرأي، يا إليانور؟

- نعم. الحرية أمر رائع وغالباً ما نضطر لأن نضحي للحصول عليها.

ربتت هيرا على ذراعها: «إنها ذكية للغاية. تمسّك بها يا ولدي».

فابتسم ساندور: «هذا ما أنويه. صدقيني».

فأومأت الأم: «هذا حسن».

لحسن الحظ، كان هذا كل ما قالته الأم وابنها عن الموضوع فشعرت إيلي بالامتنان لأن ساندور لم يخبر أمه أنه طلبها للزواج. وتملكها شعور بأن هيرا قد تحاول أن تقنعها بالقبول.

لماذا إذن لم يطلب ساندور من أمه التدخّل في الموضوع لتساعده في إقناعها؟ أم أنّ لديه خطة معينة؟

من ناحية أخرى، كانت هي قد طلبت منه وقتاً للتفكير ويبدو أنه ينوي احترام طلبها ذاك، ما سيشكّل نقطة جيدة في صالحه.

وبما أنّ هيرا لم تضغط على إيلي لتقبل عرض الزواج من إبنها الحبيب، فقد لطّف وجودها الجوّ، ولكن ذهنها أصرّ على أن يبقى مشغولاً بأحداث الليلة الماضية. انشغالها بعملها نهاراً ساعدها على التحكم في نفسها. لكنها، الآن، وهي بجانبه وجدت من المستحيل أن تكبح ذكرياتها تلك.

كانت تلاحظه ينظر إليها كسمكة قرش توشك أن تلتهمها فيحمر

www.elromancia.com

وجهها وتفقد رباطة جأشها المعتادة. وعندما توبخه أمه لإحراجه لها يضحك متظاهراً بالبراءة أو الجهل. رنّ الهاتف أثناء تناولهم الحلوى فاعتذر وذهب إلى مكتبه ليجيب. هزّت هيرا رأسها بعد رحيله: «إنه يهتم بعمله أكثر مما ينبغي. أحضرته إلى أميركا ظناً مني أن حياته هنا ستكون أفضل لأن وجوده في قرية صغيرة غلاماً من دون أب ليس سهلاً. لكنني أتساءل الآن عما إذا كنت على صواب في ذلك. ربما لو بقينا هناك لما انجرف في العمل بهذا الشكل».

- لا أظن أن ساندور يمكن أن يتأثر بمحيطه. إنه هو وسيبقى كما هو أينما كان. وما كان الأمر ليختلف لو ابتدأ العمل في مدينة صغيرة في اليونان بدلاً من بوسطن في أميركا. ابنك سيتسلق إلى القمة مهما كانت ظروفه. قد يأخذ ذلك منه وقتاً أطول وجهداً أكبر هناك. قد لا يصبح كما هو حاله الآن، لكنني لا أشك أبداً في أنه كان لينجز ما يريده أن ينجزه.

- شكراً يا إليانور. أنت شابة بالغة الفطنة واللطف.

ملأ هذا المديح إيلي بالرضى والإلفة وقالت ضاحكة: «فكري فقط، إذا كان عليه أن يبذل جهداً أكبر ليحقق ما وصل إليه، لاحتاج وقتاً أطول ليبدأ بالتفكير في أمور أخرى بجانب عمله».

لن تخبرها أنه عرض عليها الزواج، لكنها تصورت أن هيرا من الذكاء بحيث تلاحظ أن أفكار ابنها تحولت إلى الشؤون العائلية.

وبدا الذعر على وجه المرأة: «أتظنينه سيتأخر أكثر في أن يمنحني أحفاداً؟».

فضحكت إيلي. كانت تعرف صحة حدس المرأة فيما يتعلق بابنها، وقالت: «أظن هذا، مع الأسف».

عادت هيرا تهز رأسها: «ما زلت قلقة عليه. إنه لا يتوقف أبداً

عن العمل. متى يصبح ذلك كافياً؟».

- يبدو أنه يريد أن يحقق ذاته، لسبب ما.

هذه المرة، تنهدت هيرا بحزن بالغ: «نعم. إنه يريد أن يثبت أنه لم يرث أيّ صفة سيئة عن أبيه. كان أبي رجلاً طيباً، لكنه حازم. لقد جعل ساندور يظن نفسه مسؤولاً عن الأمور التي لا يمكنه السيطرة عليها. لم يذكر أبي الفتى الذي أحببته بالخير قط. كان فتى طيباً. لم يكن قوياً كما ينبغي لكنه طيب».

- هل أخبرت ساندور بذلك؟

- حاولت ذلك. في حياة أبي، كان احترامي له يمنعني من أن أقول إن كلامه ليس صحيحاً كله. وعندما توفي، كان كلامه قد تجذّر في أعماق ساندور، فلم أستطع تحويله عنه. من ناحيتي، كنت ألوم جيمي لعدم عودته. ثمة أمور كثيرة لم أكن أعرفها حينذاك. وأنا الآن نادمة لعدم معارضتي كلام أبي.

ربتت إيلي على ذراعها وقالت: «لابد أن ذلك كان صعباً عليك».

- نعم، كان ذلك. لقد تربيت تربية حسنة... وتعلمت أن أبقى عذراء حتى الزواج. لكن الحب الذي عرفته أنا ووالد ساندور... كان ساحقاً. وحتى الآن لم أعرف مثله. ستظنيني حمقاء، لكنه بقي دوماً عريس قلبي.

- لا أظن أنّ ذلك حماقة على الإطلاق. لقد سمعت عن حب بهذا الشكل.

وتساءلت إيلي لأوّل مرة إن كانت تريد مشاعر بهذا العمق نحو رجل.

لطالما تمنت هذا النوع من الحب. لكن حين رأت ألم هيرا

www.efromance.com

وذلك الحزن في عينيها الجملتين وكأن ما حدث حدث أمس، خفق قلبها بمزيج من العطف والخوف... عطفها البالغ على هذه المرأة ملأها خشية من أن تكون مشاعرها هي قد أصبحت معرضة للخطر كمشاعر هيرا.

إنها ليست ساذجة في السادسة عشرة من عمرها مع حبيبها الأوّل، لكن تملكها شعور بأن حب هيرا كان يسمو فوق الوجود المادي.

محت ابتسامة هيرا الألم من عينيها عندما تألقتا بمشاعر ما زالت تحمل لها الفرح بقدر ما تحمل من ألم، وهي تقول: «ذلك الشعور كان أجمل ما يمكن أن يقدمه هذا العالم. وقد أحبني بقدر ما أحببته».

- ومع ذلك فقد رحل.

لم تقل إيلي ذلك لأنها تشك بكلام هيرا بل لأنها لم تستطع أن تفهم كيف يهجر الشخص إنساناً يحبه إلى هذا الحد. ومع ذلك، أدركت لاحقاً أنه ما كان لها أن تنطق بهذه الكلمات بصوت مرتفع، فقالت: «آسفة. ما كان لي أن أقول ذلك».

- لِمَ لا؟ إنها الحقيقة. لكنها جزء من الحقيقة. فاجأنا أبي معاً، فأخذ يضرب حبيبي حتى لم يعد يستطيع الوقوف. حاولت أن أمنعه لكنه أخذ يصفعني بقسوة فطلب مني جيمي أن أغادر المكان. لم يستطع أن يراني أتألم. لم أستجب لطلب أبي لكنني أطعت جيمي. لقد جرحت كبرياؤه حين ضربه أبي أمامي بذلك الشكل. ولم يستطع أن يرفع يده على أبي، لذا لم يدافع عن نفسه. كان أبي يظن أن من حقه أن يفعل ما فعل، فطرد جيمي من الجزيرة.

كانت تتكلم ودموعها تسيل على خديها فسألتها إيلي: «إذن لم

يتركك بإرادته».

- لا لم يكن ثمة سبيل لأنه يعلم أنني حامل. كان هو نفسه فتى مراهقاً مع أصدقائه في إجازة. لقد حاول أن يراني مرة بعد ذلك.

انقبض قلب إيلي. هل يعلم ساندور ذلك؟ وتابعت هيرا كلامها: «لم أعرف أنه فعل ذلك إلا بعد موت أبي. وجدت الرسالة في مكتبه. في البداية، لم أخبر ساندور بذلك لأنه كان حزيناً على موت جده. لكن في ما بعد... أقنعت نفسي بأن جيمي تزوج الآن وأصبح لديه أولاد. وكان ساندور يكافح في الحياة جاهداً، فلم أشأ أن أعرّضه لوضع كهذا إذ سيؤلمه للغاية. وكانت المرارة تؤلمه بالنسبة إلى أبيه. وهكذا رأيت أنه من الأفضل أن أنتظر».

- ربما كنت على حق.

بدا الشك في عيني هيرا: «لا أدري. أنا لم أتزوج قط، رغم أن الفرصة أتيحت لي، لكنني لم أرغب في ذلك. أيمكن أن يحصل الأمر نفسه مع جيمي؟ كان عليّ أن أختار بين استعمال المال الذي حصلت عليه من بيع منزل أسرتي وأملاكها لتعليم ساندور، وبين البحث عن أبيه. واتخذت قراري، لكنني أتساءل أحياناً عمّا إذا كان خياري هو الصحيح».

- إنما الآن وبعد أن أصبح لديك المال، يمكنك أن تجديه.

- فتحت الموضوع مرة مع ساندور، لكنني ندمت على ذلك. لو لم أسأله، لكان بإمكاني أن أفعل هذا من دون معرفته. لكن عندما أخبرته بما أريد أن أفعل، طلب مني ألّا أستعمل المال من جهده لكي أبحث عن رجل هجرنا نحن الإثنين. ولم أستطع أن أجعله يغيّر رأيه.

- هل أخبرته عن رسالة أبيه؟

- نعم ولم يهتم بذلك.
- ساندور عنيد جداً.
- نعم.

وسرعان ما عاد الرجل العنيد، لكن إيلي لم تستطع أن تنس حديثها ذاك مع هيرا.

وعندما أخذها إلى البيت، طلبت منه أن يركن سيارته مرة أخرى في موقف الزائرين تحت المبنى ويدخل معها. أرادت أن تتحدث إليه عمّا أخبرتها به هيرا.

هذه المرة، ذهبت مباشرة إلى المطبخ ووضعت إبريق الشاي على النار.

قال من خلفها: «أنا لست عطشاناً».

- أنا أريد فنجان شاي.

ووقتاً للحديث، كما أضافت في سرّها.

رفع حاجبيه: «سنشرب الشاي إذن».

- أنت تسخر مني.
- بل أنا أمازحك، وهذا أمر مختلف.
- ولماذا تمازحني؟
- لأسباب ذكورية واضحة. أرجو أن ألطف موقفك مني فأتمكن من الحصول منك على ما أريد.

ضحكت: «أظنك تعلم أن بإمكانك أن تغريني من دون إبريق شاي».

- لكنني أفضل عدم الإغراء.
- أتريدني أن أقدّم نفسي؟
- هل هذا سيء كثيراً؟

لحسن الحظ أن المياه في إبريق الشاي راحت تغلي فقفزت من مكانها، وأعدت الشاي ثم جلسا إلى مائدة المطبخ الصغيرة القديمة الطراز قبل أن تثير موضوع أبيه: «هل فكرت يوماً في البحث عن أبيك؟».

تصلّب جسد ساندور: «أظنني كنت مخطئاً عندما ظننت أن الوقت الذي أمضيته على الهاتف لن يسمح لأمي بأن تفتح ذلك الموضوع. ماذا حدث؟ هل أخبرتك حكاية ضرب جدي لجيمي فوستر وطرده من القرية؟ تلك الحكاية الحزينة».

ابتسمت مداعبة: «أنت تقرأ الغيب من دون مهارة. لا أظنك كنت تسترق السمع».

أرادت أن تبقي الجو مرحاً، لكن مظهر وجهه لا ينبئ بإمكانية ذلك. تنهد وأخذ يرشف الشاي: «لا، لكنها قصة عذبتني بها أكثر من مرة».

- إنها ليست قصة. ما كانت أمك لتؤلف أمراً كهذا.
- ليس لدي أدنى شك في أن جدي فعل ما قالته. على أيّ حال، كان أبي أضعف من أن يعود إليها. وهذا هو أساس المشكلة.
- لكنه حاول.

فقال بألم: «هل أخبرتك أيضاً عن الرسالة؟».

- نعم.
- اسمعي. لقد قرأت تلك الرسالة، ولم تكن رسالة حب يريد بها أن تعود إليه. كان قد أنهى الجامعة ففكّر في أن بإمكانهما أن يعودا لرؤية بعضهما البعض، بعد ما حدث بينهما في الماضي. لم يقل شيئاً عن الحب الذي تصرّ على أنه يشعر به نحوها. تساءل إن

www.efromancia.com

كانت قد تزوجت لأن الفتيات اليونانيات يتزوجن قبل الأميركيات.

- أتظن أنه كان بإمكانه أن يعبّر عن عواطفه كلها في رسالة إلى امرأة لا يعرف إن كانت متزوجة أم لا؟

- إذا كان حبه كبيراً كما تقول أمي، فبإمكانه أن يفعل ذلك.

وكان صوته حازماً فطرحت عليه السؤال: «هل كنت لتفعل ذلك لو أنك مكانه؟».

- أنا لا أؤمن بذلك النوع من الحب.

- نعم. أعرف هذا. لكن إذا كنت تؤمن به، فلا أعتقد أنك ستضع قلبك على طريق قبل أن تعرف إلى أين سيفضي بك.

بدا وكأنه أجفل قليلاً: «ما فائدة هذا الحديث؟».

- أظن أن عليك أن تبحث عن أبيك، إن لم يكن من أجلك فمن أجلها.

- أتظنين أنني لم آخذ مشاعرها في الاعتبار عندما رفضت أن أبحث عنه؟

- أحقاً؟

- نعم. ماذا تظنين سيحدث لأمي، لذلك القلب الرقيق إذا علمت أنه تزوج حالما تخرّج من الجامعة ولديه الآن أولاد وزوجة يحبها؟

- أحقاً هو كذلك؟

هل بحث ساندور عن أبيه وعلم ذلك؟

- لست أدري. وفي حالة كهذه، الجهل هو أفضل بالنسبة إلى أمي على الأقل.

- ولكن إذ كان متزوجاً، فلست مضطراً لأن تخبرها.

- لا أريد... ولا أستطيع أن أكذب على أمي.

- وهل عدم ذكر الشيء كذب دوماً؟ خصوصاً إذا كان هدفك حمايتها؟ ألم يكن من الأفضل لك أنت أن تعلم؟

هزّ كتفيه: «أنا أحب أمي كثيراً. وحجب تلك المعلومات عنها إذا حصلت عليها خطأ، فهذا سيحطم الثقة بيننا. لا أريد أن أجازف بتعريضها لمزيد من الألم».

كيف... كيف يمكنها أن تتجنب حب هذا الرجل؟ وسألته: «ولكن... ماذا لو كنت مخطئاً؟».

- كان بإمكانه أن يعود إليها طوال تلك السنوات.

- وماذا عنك؟ ألا تريد أن تعرفه؟

- لقد هجر أمي وهجرني وإن لم يكن يعلم بوجودي. إنه ليس بالرجل الذي أريده في حياتي.

- أبقاهما جدك متفرقين.

- ثمة رسالة واحدة فقط يا إيلي وليس عشر رسائل، أو خمساً، أو حتى اثنتين. واحدة فقط. ترك الملعب بعد أول ضربة خاطئة.

- أيمكن أن تتصور نفسك تفعل ذلك؟

- لا. خصوصاً إذا تعلّقت المسألة بأمر ذي أهمية لي.

- أنت تعلم أنني أنا أيضاً عنيدة.

- نعم. سبق واتفقنا على ذلك.

- أعتقد أنك مخطئ.

- أعتقد أنه من الأفضل أن تتحدث عنك وعن جمالك.

صدمت وفتحت فمها ذاهلة. والتفتت إليه لتجد نظرته حارة وخبيثة. بدت وكأنها في غير مكانها... ومع ذلك... وقالت: «هذا ليس شيئاً يتحدثون عنه، عادة».

مال إلى الأمام ولامس عنقها فتأوهت. ابتسم، مسروراً بتأثيره

www.elromancia.com

فيها: «أظن أنك مثيرة بالرغم من مظهرك الخارجي المتزمت.»

إن ساندور مختلف للغاية. هل هذا ما جذبها إليه؟

نظرت إلى الملابس البسيطة التي ارتدتها للعشاء مع والدة ساندور. ورغم أنها حديثة الطراز ومناسبة تماماً لقوامها، إلّا أنها لم تكن مثيرة بالضبط. فالسترة عالية الياقة، والتنورة محتشمة تصل ركبتيها بالضبط.

- طريقتك في ارتداء الملابس ممتازة بالنسبة إليك. أحب أن أعلم أن الناس ينظرون إليك فيرونك امرأة أنيقة هادئة بينما أنا أعلم أن تحت هذه الواجهة جسد خلق كي يتجاوب معي بمشاعر محمومة متدفقة تملأني بهجة. كما أنك تلبسين أحياناً ثياباً أكثر إثارة مما تقصدين.

- ألا تعتقد أنني أقصد إثارتك؟

- لا أعتقد أن لديك أي فكرة عن مدى الإثارة التي أشعر بها عندما تلبسين هذا اللباس القصير المحتشم، وذلك الثوب الذي كنت ترتدينه الليلة الماضية.

ليلة أمس أرادت أن تبدو مثيرة جداً لكنه لم يكن يعرف ذلك. وقالت له: «لماذا تقول ذلك؟».

- لو كان لديك فكرة لما تساءلت أبداً عن المشاعر المحمومة التي بيننا.

- إن عقل الرجل لغز محيّر من دون شك، خصوصاً عقل ساندور. وقالت: «هل يُفترض بي أن أقرأ أفكارك؟».

هزّ كتفيه: «أرجو أن يكون لديك الآن أساس أفضل تستندين إليه في اتخاذ قرارك».

- أظن ذلك.

وأمسكت بيده وهي تضيف: «شعرت بعواطف محمومة فيك قبل أن... تسيطر عليها. لكنني شككت في غريزتي عندما لم تقدم على أيّ تصرف».

- والآن؟

تنفست بعمق لكن هذا لم يساعدها على التحكم بحواسها. تأوهت وأغمضت عينيها، محاولة أن تجد التحكم في الظلمة تحت جفنيها. وقالت: «والآن، أنا أسلّم بأننا متلائمان جداً من بعض النواحي».

إنها تعرف مكانته في نفسها، ولكن ماذا عنه هو؟

وقف ودار حول المائدة ثم رفعها لتقف على قدميها. كانت قريبة جداً من جسده إلى حد شعرت معه بحرارته، لكنهما لم يتلامسا. وفتحت عينيها لترى نظراته الحارة.

قال: «هل تريدين أن أثبت لك أننا نشعر بالانسجام معاً في ناحية معينة؟».

- وهل انتهينا من الحديث عن أبيك؟

- نعم. أظننا انتهينا من ذلك الموضوع.

أرادت أن تبدو هادئة، وألّا تكشف الكثير من نفسها، لكن هذا الأمل سرعان انهار ما إن أخذها بين ذراعيه.

كان ساندور رجلاً غير عادي. وأصرّ جزء منها على أن هذا شيء فطري، فيما أصرّ الجزء الآخر على ألّا يغار من النساء اللاتي عرفهن قبلها.

قالت في محاولة للافلات من ضعفها: «أنت تعلّمت أن عليك ألّا تغري عذارى إلا بعد الزواج، وهذا أمر استقر في ذهنك؟».

ضحك وأجاب: «يا حبيبتي إيلي، من أين أتتك القوة لطرح أسئلة علي؟ لابد أنني أخطأت في مكان ما».

- لا. لكني أتساءل فقط.
- عن ماذا؟
- كيف تعلمت كل هذا. أنت ماهر جداً في إثارة أحاسيسي.
تأوّه وقال: «أنت رائعة للغاية ما يجعلني لا أصدق أنك طرحت عليّ ذلك السؤال».
- هيا أخبرني.
- وأنت بريئة جداً.
لم تشأ أن تناقش هذا الأمر، وسألته: «أنت إذن أقمت علاقات مع نساء كثيرات؟».
تنهّد فيما تقابلت أعينهما: «لست كثيرات. أنا لست فتى عابثاً».
- لكنك تعرف الكثير... ولا أستطيع أن أتصورك عازباً.
- إذن فقد خانتك تصوراتك، كما أني لا أفهم هدف هذه المناقشة. فكري فقط في أنني بقيت أعمل أربع وعشرين ساعة يومياً لسنوات، من دون استراحة إلّا عندما تطلب أمي مني ذلك. لذا، لم تكن الظروف تسمح لي بإقامة علاقة منتظمة.
- ولكن كان لديك عشيقات؟
- كان لديّ رفيقات. والعلاقة معهن لا يمكن أبداً أن توصف بالعشق أو حتى بأنها علاقة.
- هذا يبدو غاية في البرودة.
اعتادت طريقته الواقعية في مناقشة بعض الأمور، فهو لم ينشأ في جوّ مهذب وخانق أحياناً، كالجوّ الذي نشأت هي فيه.
وقال يجيبها: «كان كذلك فعلاً. لكنني لم أدرك ذلك إلا بعد أن أدفأتني نيران عواطفك المحمومة والبريئة في الوقت نفسه في أوّل مرة عانقتك فيها».

٦ - لن أؤلمك

اغرورقت عيناها بالدموع وخنقتها المشاعر. لعله لا يؤمن بالحب، لكن كلامه هذا يجعلها تبدو كفتاة غير عادية بالنسبة إليه.
وقالت له هذا فأجاب: «طبعاً أنت غير عادية، وأنا أريد أن أتزوجك. يوماً ما ستصبحين زوجتي».
لم يكن لديها القوة لرفض كلامه هذا حالياً، حتى أنها لم تعد واثقة مما تريد، فتجنبت الجواب. لم تشأ أن ترفض هذا الطلب، ولا أمل في أن تفعل حتى ولو شاءت.
رفعت بصرها إليه وقلبها في عينيها وأسنانها مطبقة بشدة على بعضها البعض وكأنها تريد أن تكبح كلمات الحب التي أرادت أن تخرج من بين شفتيها.
قال لها مبتسماً: «أنت امرأة لا تقدّر بثمن يا إيلي».
انعصر قلبها وازداد إحساسها بأنها غير عادية بالنسبة إليه.
وكان لا يزال ينظر إليها حين أضاف: «أنت تعلمين أننا متلائمان تماماً».
- نعم.
- لكنك ما زلت متوترة الأعصاب.
- قليلاً.
- دعيني أرى ما يمكنني فعله لمحو التوتر.
وضمها إلى صدره بقوة فتأوهت وقد اكتسحتها مشاعر لم تعهدها

www.elromancia.com

قط من قبل.

كيف يمكن لعناق بسيط أن يثير هذه المشاعر كلها؟ أم أنه الرجل نفسه هو من يثير أحاسيسها.

- أنت رائعة الجمال عندما تكون مشاعرك محمومة يا إيلي.

شهقت: «لم أشعر بشيء كهذا قط من قبل».

- أنا مسرور لذلك.

قالت: «أنت تجعلني أشعر وكأني هدية انتظرتها طويلاً».

لم يكن صوتها سوى همس...

- أنت هدية ثمينة بالنسبة إليّ.

أدفأت كلماته مكاناً في داخلها لطالما كان بارداً. مكان أدفأه شعورها بأنها احتلت مكاناً منقطع النظير في قلب رجل ما وحياته.

لطالما ظنت أنها إذا اختفت من حياة أبيها فلن يشعر بذلك.

وربما ليس لديها مكان في قلب ساندور، لكنه يريها بأنه يريدها أن تحتل مكاناً خاصاً في حياته وهذا أفضل مما حصلت عليه منذ وقت طويل.

وأوشكت أن تعلن له عن موافقتها على الزواج منه حالاً، لولا أنّ دافعاً لحفظ الذات منعها.

من الغباء اتخاذ قرار كهذا تحت تأثير فيض المشاعر هذا. لقد فعلت هذا مرة من قبل، ولن تكرر هذه الغلطة.

وقاطع أفكارها التي حملتها إلى عالم آخر بقوله: «أنت خطيرة. أتعلمين هذا؟».

- أحب أن أكون كذلك.

- أنت بعيدة عن التزمت، يا أميرة بوسطن الصغيرة.

- الناحية الخطرة مني لم تظهر إلا معك.

- كما يُفترض بالأمر أن يكون.

وضحكت قبل أن تعلّق: «إنها غطرستك مرة أخرى».

ودنت منه تلامس وجهه بأناملها فترسم خطوط ملامحه بلمسة مثيرة، فقال: «أنت خطيرة».

- لقد قلت هذا.

- وهذه هي الحقيقة.

- أظننا، نحن الإثنين، خطيرين.

هذا الرجل مصمم على أن يريها أنهما متلائمان وأنهما خلقا لبعضهما البعض.

ولم يعد لديها شك في ذلك.

تفاعلها معه كان ساحقاً إلى حد جعلها تدرك أن ما شعرت به معه لم تشعر به مع رجل آخر. لقد قالت إنه مختلف بالنسبة إليها، وهو صدقها، لكنه يريد أن تكون إيلي متأكدة منه. أنْ ترغب في العيش معه.

وللحظة، عاد ذاك الصبي الصغير الذي صمد أمام سخرية وإهانات الصبية الآخرين في قريته اليونانية الصغيرة، لأنه من دون أب، ليخترق درع ساندور البالغ. إنه يريد أن يعلم أن لديه انتماء.

ذلك الصبي الصغير في داخله، ذلك الذي صمّم في تلك السن المبكرة على ألّا يكون كما يظنه الآخرون أيّ غير مهم، ولا قوي الشخصية والنفوذ...؟ ذلك الصبي كان يعلم أن ساندور بحاجة لأن يعلم أنه مهم بالنسبة إلى هذه المرأة. هذا هو المفتاح لشفاء الجروح التي كان يرفض الاعتراف بها والتي بقيت حتى هاجر مع أمه من اليونان إلى أميركا.

- أنت لي، يا إيلي.

- نعم. لك فقط.

جذبها إلى بين ذراعه بقوة: «أنت لي، يا إيلي».

- ساندور...

- لا تنكري ذلك.

ونظر إليها مضيفاً: «أنت اعترفت بمكاني في حياتك».

تحولت نظراتها عنه، ثم تنهدت وقالت: «أنا لا أنكر أني أنجذب إليك وأنك تثير فيّ الكثير من الأحاسيس، لكن هذا لا يعني أنني سأضع خاتمك يا ساندور».

تملكه الإحباط لكلماتها هذه: «ماذا تعنين؟».

- أعني أنني لن أعرف رجلاً آخر أبداً. لكنني لا أعرف إن كنت سأمضي بقية حياتي معك.

ماذا يعني ذلك بحق جهنم؟ ونظر إليها. كان ضوء المصباح الموجود بجانب الأريكة ينعكس على ملامحها الأنثوية الغامضة: «إذا قررت ألّا تعرفي رجلاً آخر، فَلِمَ تنكرين عليّ مكاني بجانبك؟».

- أنا لا أنكر شيئاً. أرجوك أن تصدقني. أنا فقط لست... متأكدة.

- لعلك بحاجة إلى علم دلالات الألفاظ؟

- لا، يا ساندور... في الحقيقة، سبق وأخبرتك أنني بحاجة إلى وقت.

- بعد هذه المشاعر كلها؟

ضغطت على شفتيه بإصبعها تسكته: «إنها رائعة. أرجوك ألّا تهدم هذا بهذا الجدل».

ولمعت عيناها بضعف لم يستطع أن يقاومه.

قال ببطء: «أنا لست من يجادل هنا».

هل كل النساء مربكات هكذا أم هي فقط؟ لم يسبق له قط أن حاول فهم عقل المرأة الأنثى الوحيدة التي كان أمرها يهمه هي أمه وهي علاقة مختلفة تماماً.

كانت عيناها ممتلئتين بمشاعر لم يفهمها وهي تقول: «أنا لا أجادل، أنا خائفة، يا ساندور. أنا لا أريد أن أتألم».

- لن أجعلك تتألمين.

- بل ستفعل ذلك. لن تستطيع تجنّب ذلك.

ارتخى جفناها وقد تملكها الإرهاق، لكن الكلمات بقيت تتدفق وكأن الفكرة مترسخة جداً بحيث لا تحتاج إلى وعي كامل للتعبير عنها: «أنت لا تحبني، وهذا سوف يسبب لي الألم. وأنا من يقرر ما إذا كان السماح لك بأن تفارقني أسوأ من هذا الألم».

لم يستطع أن يصدق ما يسمع: «تباً! لن أجعلك تتألمين».

- لن يكون بمقدورك أن تتجنب ذلك.

كانت لهجتها حزينة للغاية فثار غضباً: «أخبريني بما تحتاجينه فأجعلك تحصلين عليه».

رأى الأمر بسيطاً للغاية، فَلِم لا تراه كذلك؟

- لن تستطيع.

- بل يمكنني أن أفعل ما أشاء.

ابتسمت بكآبة: «أعلم أنك تعتقد ذلك، لكن هذا غير صحيح. ليس بإمكانك أن تمنحني أهم شيء على الإطلاق».

- وما هو هذا؟

- حبك.

شعر وكأنه تلقى لطمة على صدره، من دون أن يعلم لماذا.

www.elromancia.com

وقال: «يمكنني أن أعطيك كل ما تطلبينه سواء أكان حناناً، أم محبة، أم هدايا، أم صداقة. لن أرفض لك طلباً».

أغمضت عينيها لكن الدموع سالت منهما ما جعله يشعر بالعجز، وهو شعور لم يعرفه من قبل. ولم يعجبه هذا بكل تأكيد. وابتعدت عنه قائلة: «ما عدا الشعور الذي أمضيت حياتي محرومة منه. كل ما ستقدّمه لي يجب أن يكون بدافع الحب، لكنك ستعطيني ما أطلبه، وثمة فرق حتى لو لم تستطع رؤيته. وأنا أعرف ذلك الفرق جيداً».

وضع يده على كتفها يريد أن يخفف من الألم الظاهر في صوتها، وقال: «أوضحي».

- أبي يشعر نحوي بالمسؤولية، لكنه لا يحبني. استنتجت ذلك حين كنت طفلة. لم يحبني قط. كل ما فعله من أجلي كان بدافع الواجب. وأنت الآن تخبرني أنك ستفعل الأمر نفسه... ستعطيني كل ما أطلبه، بدافع واجبك كزوج.

واستدارت لتواجهه، وإذا بكل الألم الذي لمسه في صوتها يتمثّل دموعاً في عينيها وهي تتابع: «لم يكن لدي من يحبني أو أسرة تحتضنني بعد وفاة جدي وجدتي. لا صداقات قديمة ألجأ إليها. الحياة من دون حب موحشة للغاية يا ساندور. وأنا لا أريد ذلك النوع من الوحشة في حياتي الزوجية».

لم يعرف ما عليه أن يقول. لطالما كان لديه من يحبه.

كان جده يحبه قبل موته. ومع ذلك لم يفكر ساندور في الحب لأنه كان يعتبره المسؤول عن معظم الآلام.

كانت إيلي تقول إن نقص الحب مؤلم للغاية لكنها مخطئة إذا اعتبرت أن ذلك يؤدي إلى الشعور بالوحشة.

- هل تشعرين الآن بالوحشة يا إيلي؟.

لم تجب. لكن شيئاً ما في عينيها كان يقول إنها مستوحشة... في أعماقها. لم يفهم ذلك. إنه يشعر بصلة بينهما أقوى من صلته بأي شخص آخر. هل يُعقل ألّا تشعر بهذه الصلة؟

وقالت أثناء الصمت الذي ساد بينهما: «لا أريد أن أمضي بقية حياتي في انتظار أن يبادلني الناس الذين أحبهم، الحب».

- أتريدين أن تقولي إنك تحبينني يا إيلي؟

انهمرت دموعها على خديها وهمست: «نعم».

لو فكر في الأمر منذ يومين لقال إن وقوعها في حبه سيساعده على إقناعها بالزواج منه. لكنه أدرك الآن أنه من المرجّح أن يدفعها حبها هذا إلى أن تدير ظهرها إلى ما يحدث بينهما حالياً. فهي خائفة حقاً من أن يسبب لها الألم لأنه لا يحبها.

انقبض شيء في أعماقه إلى حد صعب معه عليه أن يتنفس. إنه يعرف معنى ذلك الألم. إنه يتألم الآن، يتألم من أجلها... من أجل نفسه.

عدم ثقتها أخذت تفتح جروحاً قديمة، ذكريات يُفضّل نسيانها، لكن ذلك أثار أشجانه على أي حال. لقد أمضى طفولته مرفوضاً بسبب وضعه كولد غير شرعي لأم يونانية وأب أميركي. كان الأفضل في الرياضة والدراسة، ومع ذلك بقي رفاقه في المدرسة ومعلموه ينظرون إليه نظرة ازدراء لأنه لا يحمل اسم أبيه.

لم تستطع كل جهوده أن ترغمهم على أن يتقبّلوه تماماً أو ترغم جده من دون شرط، كما أنه لن يستطيع أن يرغم إيلي على قبوله. وهو لم يشأ حتى أن يحاول. لقد فضّلت أن تسوّي الأمور وحدها وهو أيضاً بحاجة إلى أن يعلم أن الخيار خيارها كلياً.

هل سيكون حبها كحب جده له، يتقلب تبعاً لتوقعات وحاجات

أمل ساندور أن يحققها؟ أم سيكون كحب أمه له... من دون شروط؟ هل ترغب في أن تتقبّله كما هو؟ كان يعرف نفسه بما يكفي ليدرك أنه، ورغم عدم حاجته إلى حبها، إلّا أنه إذا حصل عليه فيفضّل أن يكون ذلك بقبولها ورضاها.

لم يجبها على كلامها هذا. لم يعرف ما عليه أن يقوله فهو لا يريد أن يؤلمها. إنه لا يستطيع أن يجيبها عن كلماتها بصدق تام. وبدلاً من أن يتكلم، ضمها إليه وراح يمرر يده على شعرها حتى غلبها النوم ورأسها على كتفه.

٧ - أنت خائنة

جلست إيلي على الشاطئ تنظر إلى البحر بينما الشمس تغيب ببطء خلف الأفق. كانت متعبة بعد الرحلة الطويلة بالطائرة والساعتين اللتين أمضتهما في السيارة من برشلونة إلى المدينة الساحلية الصغيرة التي تتباهى بقصرها وشاطئها المغطى بالحصى والذي يصلح لحمام الشمس.

كان الشاطئ الآن خالياً تماماً، فالحياة الليلة في هذه المدينة الصغيرة في قمة نشاطها. شعرت بالغرابة من وحدتها الكاملة ولم تستطع أن تتذكر آخر مرة قصدت فيها مكاناً ما بدون حراسها.

استيقظت ذلك الصباح على ذكرى حديثها مع ساندور. كانت قد غفت وهو يحتضنها، فأيقظها ليودّعها وغادر بعد أن أخبرها بأن لديها عطلة نهاية الأسبوع لتفكر فيها. وكان من عادته أن يحدّد وقتاً للتأمل والتفكير، لكن منحه لها ذلك الوقت من دون مزيد من النقاش صدمها. كان هذا تصرفاً غير متوقع منه.

أحقاً كان كذلك؟ ما مدى معرفتها به؟

إنها تحبه لكن هذا لا يعني أنها تعرف طريقة تفكيره. ما كان أبوها ليمنح خصماً له فرصة للصلح، وساندور لم يحاول حتى أن يخبرها بأن ليس لديها سبب يجعلها تخاف.

وقف أمام الباب، ويداه الكبيرتان تحيطان بوجهها، وقال: «إما تتقبلينني كما أنا ومن أنا، وما بمقدوري أن أمنحك، وإما لا

www.elromancia.com

تتقبليني. إما أن تدركي أن ما من شيء تخافينه معي، وإما أن تدعي مخاوفك تحطم مستقبلنا. الخيار لك».

ثم عانقها وذهب.

وتملكها الشك في أن تصل إلى قرار بأن ليس لديها ما تخافه، لكنها أدركت سريعاً أن الحياة بدونه أكثر كآبة من الحياة معه من دون حبه. كان حبها له هو أكبر سلاح ضدها في كفاحها هذا الذي أرادها أن تنجح فيه، رغم أن الجراح التي خلّفها في قلبها عدم اهتمام أبيها بها ما زالت تنزف. حبها العظيم لساندور أخبرها بأن العيش معه والكفاح لكسب حبه بعد الزواج أفضل من الفراق والكفاح للتخلّص من هذا الحب.

إن ساندور يمثل كل ما يمكنها أن تتصوره في الحبيب، لا بل أكثر بكثير. فهو يحب أمه... ويهمه أمرها هي... وهو منصف، وشريف وخلوق إلى حد كبير. لم تستطع أن تصدق أنه لا يكذب على أمه أبداً.

كان تأثرها بذلك بالغاً. إن حزم جده جعل الاستقامة تتجذر في أعماق ساندور بشكل لا يمكن تصديقه.

لم يكن لدى أبيها مشكلة في أن يكذب عليها إذا ظن أنّ في ذلك مصلحة لها. لكنه، من ناحية أخرى، لم يكن يحبها. وقد تساءلت مرة إن أحب أحداً في حياته قط. أمها؟ لديها شعور بأن فقده أمها بعد ولادتها مباشرة حطّم قلبه. لكن لعلها مخطئة، إذ لا سبيل لأن تعلم الحقيقة.

عندما أصبحت في السادسة من عمرها كان أجدادها الأربعة قد توفوا. جدها لأبيها توفي بنوبة قلبية عندما أتمت إيلي السادسة، وكانت جدتها لأبيها قد توفيت قبل ولادتها. أما جداها لأمها فقتلا

في حادث سيارة وهي في الرابعة من عمرها.

لم تخبر ساندور الحقيقة الكاملة الليلة الماضية إذ كانت محبوبة يوماً ما. ما زالت تتذكر حرارة ذراعي جدتها وهي تحتضنها عندما كانت صغيرة، وكيف كان جدها يبتسم لها وكأنها الشمس الساطعة في سمائه. لكن هذا حدث منذ زمن طويل فكانت تنسى أحياناً شعور الإنسان بأنه محبوب.

لكنها تذكرت ذلك الدفء عندما كانت بجانب هيرا والدة ساندور، فالمرأة اليونانية جعلت إيلي تتساءل عن شعور من له أم. وكان جزء منها يتلهف إلى الزواج من ساندور لأنها تعلم أنها إذا تزوجته فستصبح أمه بمثابة أم لها، وستجد من يحبها في العالم. وساندور الذي يرفض الاعتراف بهذا الشعور ليس لديه فكرة عن مدى حظه لأنه حظي ليس بحب شخص واحد فقط له في حياته، بل بحب اثنين...

وهي الآن تحبه، لكنها لا تعلم ما إذا كان حبها له كبيراً بما يكفي لكي تمنحه إياه من دون مقابل. وإذا لم تستطع ذلك، فهل سينجح زواجهما؟ هل يمكن أن ينجح؟ وهل هي من القوة بحيث تحب من دون مقابل ومن دون أن تشعر بالمرارة؟ إلى أي حد حبها حقيقي؟

الجواب على الكثير من أسئلتها يكمن في علاقتها بأبيها. نظرت إلى داخل نفسها وشعرت بنوع من السلام يغمرها. عدم حب أبيها لها كان يؤلمها أكثر مما تعترف به. لكنها لم تكرهه قط، ولا هي تكرهه الآن، ولن تكرهه في المستقبل أبداً.

وعلى الرغم من التشابه بينه وبين ساندور، إلّا أن هذا الأخير لم يكن قط نسخة عن أبيها. لقد اهتم بها أكثر بكثير من اهتمام أبيها

www.elromancia.com

بها. كما أنه يعلّق أهمية على العلاقة الأسرية، وهذا أمر له وزنه لأن إيلي لن تربي أولادها بمفردها. وتملكها شعور بأن ساندور سيعتبر أن من المهم والضروري أن يكون موجوداً كأب لأولاده، لأنه لم يعرف أباه.

لم تستطع إلا أن تتساءل عن رد فعله إذا علم أنها منحت نفسها أكثر من عطلة نهاية أسبوع واحدة لتتخذ قرارها. فقد أخذت إجازة أسبوع من العمل واستطاعت أن تخدع حراسها فأوهمتهم بأنها ما زالت في شقتها، ثم استقلت الطائرة إلى برشلونة. لم يكن لديها أي وجهة محددة، في ذهنها عندما وصلت إلى المطار فاستقلت أول رحلة دولية وجدتها.

وأوصلتها الرحلة إلى برشلونة، حيث قررت، مرة أخرى، السفر إلى المكان الذي يتوفر لها، آملة أن تجد مقعداً لها في أول حافلة، ما أوصلها إلى هذه المدينة الساحلية الصغيرة. لم تركب الحافلة قط من قبل، ما شكّل نوعاً من التغيير.

كانت قد حجزت في فندق قديم من النوع الذي يستعمل المراوح في السقف بدلاً من المكيّفات. كانت غرفتها صغيرة ولكن نظيفة، والأبواب القديمة الطراز ذات سحر لا تجده في الفنادق الحديثة التي تقيم فيها أثناء أسفارها مع أبيها.

متعتها هذه وهي تجلس على هذا الشاطئ، وكأنها شخص عادي، وليس ابنة أحد ملوك المال، لن تدوم إذ سيكون عليها أن تعود إلى حياتها العادية في النهاية.

واعترفت بأنها عندما غادرت بوسطن كانت هاربة من ساندور ومن مشاعرها، ومن القرار الذي أدركت أنه سيكون قدرها. كان على حق فجدالها معه مجرد تلاعب بالألفاظ. فما من مستقبل بدونه

إذا أراد أن يشاركها مستقبلها.

عادت بها الذكريات إلى بداية تعارفهما. كانت قد عاشت لحظة صفاء وتعقل... لحظة أدركت فيها النتيجة فيما لو استسلمت لأحاسيسها. وسواءً أكان ذلك بغباء أم بشجاعة... فقد استسلمت لهذه المشاعر.

لو تعلّق الأمر بجسدها فقط لكبحت رغباتها لكن عندما اشترك قلبها في الأمر، كان في ذلك ضياعها. ستتزوج ساندور. فالبديل لذلك هو حياة من دونه، ومن دون حب الأم الذي ستجده لدى هيرا. وهذا خيار لا يمكن التخلّي عنه.

خفق قلبها رجاءً عندما اطمأنت إلى قرارها النهائي. لم يكن ساندور أباها فهو يحب أمه وهذا يعني أن لديه مشاعر، كما أنه يهتم بها. ولعله يخاف من الحب بقدر ما تخاف هي من فراغ حياتها من الحب. عليها أن تعلّمه أن الحب ليس مؤلماً دوماً، وأنه يمكن أن يكون أعظم بركة في حياة الإنسان. لقد رأته في حياة أناس آخرين، وشعرت من دون أن يخبرها أحد، بأنها ستكون سعيدة هي أيضاً إذا حصلت عليه. لديه أسباب تبرر مخاوفه، تماماً كما أن لديها هي أسباباً تبرر مخاوفها. لكن هذا لا يعني أنها لا تستطيع أن تتعلم شيئاً جديداً. ستجرب حظها! ورفضت أن تعتقد أنه أقل منها شجاعة.

بقيت إيلي في اسبانيا بقية الأسبوع، مشتاقة إلى ساندور إنما مستمتعة بحريتها، ولم يكتشف حراسها مكانها إلا يوم الخميس. فكانت رحلة العودة من برشلونة مختلفة جداً. كانت هذه المرة بسيارة مع سائق خاص، ورحلة بالطائرة إلى الوطن في مقاعد الدرجة الأولى.

فتح ساندور هاتفه الخلوي في تايوان: «ساندور كريستوفايدس».

www.elromancia.com

- ساندور، أنا هاوك.

- هل وجدتها؟

- نعم.

- أين؟

- في أسبانيا.

قالت إنها تريد وقتاً للتفكير، ويبدو أنها قررت أن تبتعد أيضاً.

- وأمور أخرى.

- ماذا تعني؟

- افحص جهاز «الفاكس» لديك.

قفز ساندور من مكانه وانطلق إلى حيث جهاز الفاكس فرأى ورقتين. كانت الورقة السفلية قصاصة من جريدة أوروبية. لم تكن الصفحة الأولى بل مقالة في الداخل، تظهر إيلي وهي ترتدي ملابس أكثر إثارة وأحدث طرازاً بكثير مما اعتادت. وكانت تقف في الكازينو بجانب رجل جذاب أسود الشعر فيما الرجل يضع ذراعه حول كتفيها وقد ظهرت على وجهه إمارات التملّك.

ولسبب غريب، شعر ساندور وكأنه لا يستطيع التنفّس.

- عد إلى جهاز الكمبيوتر إذ أرسلت مزيداً من الصور عبر الانترنت.

لم يعرف ساندور كيف علم هذا الرجل أنه سار إلى جهاز الفاكس ورأى الصورة في قصاصة الجريدة التي تعلن أن (فتى عابثاً) معروفاً حصل على فتاة جديدة ليس معروفاً عنها سوى أنها (المرأة الغامضة).

بدا واضحاً أن هوية إيلي ليست معروفة، ولم يدهشه ألّا تطلب الشهرة. وإذا كان ذلك (الفتى العابث) بالثراء الذي يبدو عليه،

فيمكنه أن يخفي اسمها حتى عن أكثر الصحفيين عزماً.

تفحص ساندور بريده الالكتروني فوجد رسالة من هاوك. فتحها فوجدها مكتوبة بالشيفرة كما أخبره هاوك عبر الهاتف، ورأى على الشاشة صورة تبدو فيها إيلي وهذا الرجل متعانقين على الشاطئ. ونظر إلى بقية الصور فوجدها تدينها أكثر، لتنتهي بصورة، بدا واضحاً أنها أخذت من النافذة، تظهرهما معاً في السرير...

صرخ: «أتلف هذه الصور من ناحيتك».

- أتلفتها.

- شكراً يا هاوك.

- آسف، يا ساندور.

أوما ساندور برأسه وهو يقفل الهاتف. ألم الشعور بالخيانة مزق أحشاء ساندور الذي كان يحاول أن يركز ذهنه على الدليل الذي رآه بعينيه. لقد خانته إيلي مع رجل آخر.

وتمتم بشتائم يونانية لكنها لم تشف غليله. كان يظنها امرأة شريفة مستقيمة وقد صدقها حين قالت له إنها تحبه... فماذا يعني هذا؟ آخر متعة قبل الزواج؟ هذا غير مقبول عنده. فهو لا يريد الزواج بامرأة خائنة غير مخلصة.

حدّث نفسه بأن الألم في داخله هو نتيجة خيبة آماله ولا علاقة له بتحطم القلب، فقلبه توقف عن النزف منذ وقت طويل.

بعد ساعة إتصل به جورج وينتويرث: «لقد عثر عليها حراسها».

- في أسبانيا؟

أما لماذا طرح هذا السؤال بينما الأدلة أمام عينيه، فهذا ما لم يعرفه ساندور.

- نعم. وهي قادمة بالطائرة اليوم.

- شكراً.

- هل نحن إذن ماضيان نحو هدفنا باتحاد الشركتين؟

- سنتباحث في هذا بعد أن أتحدث إلى إيلي.

لماذا شعر بأنه مضطر لأن ينهي علاقتهما قبل أن يخبر أباها، فهذا ما لم يعرفه.

لقد أظهرت أن علاقتهما لا تعني لها شيئاً.

- هذا حسن. سأتحدث إليك إذن يوم الإثنين.

سمح ساندور لأبيها بأن يظن أنّ الأمور تسير على ما يرام، ثم أقفل الهاتف. سيتحدثان يوم الإثنين، لكن ليس عن الاتحاد الكامل الذي سيقوم على زواج إيلي وساندور.

اتصلت إيلي بساندور حين وصلت إلى شقتها مساء الجمعة. كان الوقت متأخراً وهي متعبة لكنها مطمئنة إلى قرارها النهائي.

وأجابها الصمت في الطرف الآخر عندما فتح الهاتف. لعل الإتصال سيء.

وسألت لترى إن كان يسمعها: «ساندور؟».

- نعم، أنا هنا.

- أحب أن أراك.

- غداً.

- لا بأس. أتريد أن تأتي إلى هنا؟

- سأفعل.

- متى؟

- سأكون عندك بعد الفطور.

- عظيم.

ربما بإمكانهما أن يمضيا اليوم معاً إذ اشتاقت إليه. وانقطع

الخط فظنت أن العيب في الإرسال ولم تعبأ بطلب الرقم مرة أخرى لأنها متعبة للغاية كما أنها ستراه غداً صباحاً.

وفي اليوم التالي نهضت إيلي باكراً. لم تعلم ما هو الوقت الذي عناه ساندور بقوله، بعد الفطور.

كانت جاهزة في السابعة والنصف لكنه لم يصل قبل التاسعة.

عندما فتحت له الباب لم يعانقها، وحتى لم يبتسم لها. أرادت أن تصبح علاقتها معه حافلة بالمودة والحنان. وهذا لا يعني أنها خبيرة في ذلك، لكن بإمكانهما أن يتعلما. ومالت إلى الأمام ورفعت رأسها وقبلت ذقنه.

لم يلتفت نحوها لكنها لم تعبأ بذلك، وقالت: «اشتقت إليك».

- أحقاً؟

تراجعت إلى الخلف وعضّت شفتها: «أنت مستاء لأنني رحلت مدة أسبوع».

- هذا جائز.

لم تره قط من قبل بهذه البرودة والجفاء. ولولا تأكدها من أنها مخطئة، لظنت أن عينيه البنيتين مليئتان بالاشمئزاز. لكن هذا رد فعل أقوى مما ينبغي على هذا الاندفاع البسيط منها للاختلاء بنفسها.

سألته وهي تقوده إلى غرفة الجلوس: «هل أنت غاضب لأن قراري استغرق فترة أطول من عطلة نهاية الأسبوع؟».

وجلست على الأريكة الصفراء بينما جلس هو على أبعد كرسي عنها، وهو يقول: «إذن، فقد اتخذت قرارك؟».

حاولت أن تبتسم: «نعم، ويمكنك أيضاً أن تعتاد على أنني لا أحب تلقي الأوامر. وإذا ما تقبّلت ذلك، فستجعل حياتنا أقل صعوبة. أنا أيضاً لا أحب المعاملة الجافة».

www.elromancia.com

- إذن، فأنت ترغبين في الزواج مني؟

- نعم.

- هذا غريب. عليّ أن أتساءل عن السبب.

الثقة المليئة بالبهجة التي عادت بها إلى بيتها راحت تتبدد. ولم تفهم من نقاشهما هذا شيئاً.

- هل غيّرت رأيك لمجرد أنني غبت أسبوعاً؟

- لا، أنا لم أغير رأيي لأن قرارك استغرق أكثر من المدة التي حددتها.

- هذا حسن. على أيّ حال، برزت إلى الضوء اعتبارات أخرى.

وتأكدت الآن من وجود ذلك الاشمئزاز في عينيه.

- ماذا تعني؟ ما هي الاعتبارات الأخرى تلك؟

- لم أكن أعلم أن ثمة نقص فيك وهو عيب عميق في أخلاقك.

- ماذا تقصد؟ وهل أنت من دون عيب؟

نظر إليها صامتاً، ثم قال: «أنا، على الأقل، أفهم معنى الوفاء لشريك واحد».

فسألته غير مصدقة: «وأنت تقول إنني لست كذلك؟ هل لأنني أحببت شخصاً قبلك، قررت أنني لا يمكن أن أكون مخلصة؟ لا أصدق هذا».

- لا.

- ماذا تعني إذن؟

- أعني إنك كنت ماهرة جداً في إخفاء حقيقة أخلاقك عنا، أنا ووالدك وعن التحري الذي وضعته في أثرك. يبدو أنك ماهرة جداً في العيش حياة مزدوجة، وأحيي فيك هذا النبوغ. لقد استغرق خداع

رجلي وفرقة حراسة أبيك وقتاً طويلاً لكنك تدبرت الأمر.

- ساندور، أنا لا أعرف عما تتحدث، أنا لم أخف شيئاً عنك.

حسناً، إنها لم تخبره بتفاصيل تلك العلاقة القصيرة الوحيدة التي عرفتها ولكن هذا لا يعتبر إخفاء لحقيقة أخلاقها.

- بالعكس، كنت ماهرة جداً في خداعي. وعندما أنظر إلى الخلف، يمكنني أن أرى دلائل كنت أغفل عن ملاحظتها من قبل.

- أي دلائل؟

رفع يده يسكتها: «لا أريد أن أجلس هنا للجدال معك».

- ماذا تريد؟

كان كل ما في داخلها يتجمد، وشعرت بالتنمل. كان ذلك مؤلماً وكأنها في تجلس في الصقيع. إنه برد قارس يصل إلى عظامها... هذه هي طبيعة شعورها في الداخل. تجمد حتى الألم.

- أريد أن أقول ما أريد قوله ثم أذهب.

فقالت من بين شفتين شبه مطبقتين: «قله إذن».

تردد لحظة، لكن القناع البارد ظهر مرة أخرى وقال: «أبوك يريد وريثاً لأعماله. وأنت رفضت أن تكوني تلك الوريثة فأخذ يبحث حتى عثر عليّ».

تحطم قلبها: «ماذا؟».

- قدّم لي عرضاً يستحيل مقاومته. بالزواج منك أحصل على نصف شركته كما أنه سيكتب وصية حيث يترك النصف الآخر لأولادنا بعد وفاته.

هزّت رأسها مستنكرة جرم والدها وساندور الذي رأته يستحق العقاب. آلمها للغاية أن يستغلاها بهذا الشكل ولم تستطع تصديق ذلك. إنها ليست ملكاً لأي منهما ولم تكن كذلك قط.

- على أيّ حال، حتى نصف شركة أبيك لا تكفي لإغرائي بالزواج من امرأة تعاشر رجلاً آخر فيما هي تفكر في الزواج مني.

وعندما استطاعت أن تستوعب هذه الكلمات، تملكها الذعر واتضحت لها حقيقتان، الأولى هي اعتقاد ساندور أنها عاشرت رجلاً آخر عندما كانت بعيدة عنه، والثانية هي أنها لم تكن لتعلم قط باتفاقيتهما، هو ووالدها، لو لم يصدّق الحقيقة الأولى.

سألته وهي لا تكاد تصدق أنها كانت لعبة بين الرجلين الوحيدين في حياتها اللذين تحبهما: «هل صدّقت، بكل بساطة، أنني خرجت مع رجل آخر فقط لأنني غادرت البلاد من دون حرسي الخاص؟».

لقد اعتادت على عدم اكتراث والدها، لكنها لم تتوقّع مثل هذه القسوة، ومن ساندور الذي توقعت منه الكثير... فيا لها من حمقاء!

- أنا لا أصدر هذه الأحكام على أساس تلك الحجة الواهية.

- هل أخبرك شخص ما أنني كنت أخدعك؟

- بطريقة ما، نعم.

- أوضح كلامك.

طلبت منه ذلك والبرودة في داخلها تتزايد، فألقى على الطاولة ملفاً التقطته من دون تردد أو تهيّب أو خوف مما قد تجد في داخله. سحبت منه أوراقاً عدة، الأولى تضمنت جدولاً لوكالة تحري عالمية ممتازة، تلتها نسخة من مقالة في صحيفة شعبية رخيصة. رأت امرأة تقف عند منضدة الروليت مع رجل. كانت المرأة تشبهها وكأنها شقيقتها. لكنها أنحف منها بخمسة كيلوغرامات على الأقل. كما أن حاجبيها رفيعان بحسب الموضة بينما لم تلمس هي حاجبيها لأنهما حسنا الشكل بطبيعتهما.

وكانت المرأة الأخرى تلبس زيّاً حديثاً ومثيراً للغاية ما جعلها تبدو أشبه بممثلة أو عارضة أزياء. كانت إيلي تبدو دوماً جامدة رسمية في الصور، وكأن لديها حاسة سادسة تشعرها بأن الصحافة ترصدها فتجفل كلما وجهت إليها آلة تصوير. كانت تكره الصور. كان الفاكس أسود وأبيض، فلم تستطع إيلي أن تعرف لون عيني المرأة وما إذا كان لون شعرها أسود أو بنيّاً.

قلبت الصفحة لترى الصفحة التالية فوجدت الجواب عن أحد أسئلتها. رأت صورة الرجل والمرأة نفسيهما تملأ الصفحة الملوّنة، وهنا كانا متعانقين على الشاطئ. كانت المرأة نحيفة للغاية إلى حد برزت معه عظام صدرها. لم تبدُ مريضة كبعض نجمات هوليود الناشئات، ولكن من المؤكد أنها نحيفة فوق العادة.

عندما أخذت إيلي تنظر إلى الصور، أدركت أن لون عيني المرأة هو نفس لون عينيها. حتى أنها بدت شبيهة بإيلي أكثر من أخت، ما عدا مسألة الوزن وتفاصيل صغيرة أخرى. وإذا استعانت بمستحضرات التجميل، فيمكنها أن تصبح كإيلي تماماً.

لم تستطع أن تسلخ عينيها عن الصور لأنها شعرت بتأثيرها عميقاً عليها. لابد أن هذه المرأة أخت لها... أما كيف يمكن ذلك فهي لا تعلم. حاولت أن تقنع نفسها بأن مساحيق التجميل قادرة على أن تحدث هذا التشابه بحيث يبدو الإثنان كتوأمين رغم أن لا قرابة بينهما. لكن غريزتها حدثتها بأن الأمر أكثر من ذلك. كان ثمة شعور في أعماقها لا يمكنها إنكاره، يحدثها بأن هذه المرأة هي توأمها.

حدثها أبوها بأن أمها ماتت بعد ولادتها لكنه لم يقل شيئاً عن ولادة طفل آخر معها. لكن لابد أنّ هذا حدث، وقد كذب أبوها عليها. أما كيف افترقتا هي وتوأمها فهذا ما لا تعلمه، وهذا لا

www.elromancia.com

يهمها أيضاً.

كل ما يهمها هو أن ثمة إنسان كان ليحبها لأن الأخوات يحببن بعضهن البعض، وأن ثمة امرأة كانت ستحبها وتشكّل ملاذاً لها أيضاً. والتفتت إلى ساندور: «أخرج من هنا».

- أهذا كل ما تقولينه لي؟

- كلا.

بدا لها وكأنه يتمنى لو تفسّر له قضية الصور لكنه لا يهتم. أراد أن يتزوجها لكي يوسّع أعماله. حتى أمه تكهنت بذلك، بينما بقيت هي، إيلي، في ظلمة الجهل. شركة ساندور ستكون هي الأولى في حياته دوماً، مثل أبيها تماماً.

- أظنك رجلاً حقيراً.

اهتز لما سمع: «ما هذا الذي تقولينه بحق جهنم؟».

- لقد كذبت علي. قلت إنك تريدني لذاتي، ولكن كل ما كنت تريده هو شركة أبي.

- أتظنين أن كلامك هذا يبرّر سلوكك؟

- لا، ليس عليّ أن أبرّر عملي، كما أن عملك لا سبيل إلى إصلاحه. أخرج من شقتي يا ساندور ولا تعد إليها أبداً.

لم يتحرك: «إيلي...».

- كفى كلاماً وأخرج.

كان ثمة الكثير يدور في ذهنها، وألم لا يطاق. شعرت بألم بالغ وهي ترى أن كل ما آمنت به في الحياة لم يكن سوى خدعة كبرى.

- أخبريني على الأقل لماذا ذهبت إليه. هل كان عشيقاً قديماً؟ هل هي آخر مغامرة تودعين بها حياة العزوبة؟

- لست مدينة لك بأي تفسير.

- لقد عدت مستعدة للزواج مني.

- نعم، وهذه أكبر حماقاتي.

- دعيني أفهم الأمر، يا إيلي.

نظرت إليه. شعرت بكلماته وكأنها توسل صادر من القلب، ولكن ليس له قلب فهو لا يحب سوى شركته ولا يهتم سوى بأن يثبت أنه أهمّ من أبيه. إنه لا يهتم بها. اتفاقيته مع أبيها وإخفاؤه الأمر عنها، يثبتان ذلك.

- قلت إنك لا يمكن أن تخفي شيئاً عن أمك.

- الأمر ليس سيان.

- هذا واضح لأنك تحبها. أما أنا فلست سوى قطعة شطرنج للعب بينك وبين أبي. يمكنني أن أكرهك، يا ساندور. يمكنني حقاً أن أكرهك.

ضحك بخشونة: «شيء فيك يسترعي انتباهي وهو مبلغ تشابهنا حتى بالنسبة لهذا الأمر. فيمكنني أنا أيضاً أن أكرهك».

- أخرج من هنا يا ساندور. لا أريدك هنا بعد الآن أبداً.

واغرورقت عيناها بدموع ساخنة، فأخذت تغالبها بعنف، لا تريدها أن تسيل أثناء وجوده في بيتها.

وقف وفي عينيه ألم مرهق ما لبث أن اختفى ليحل مكانه تلك البرودة الجافة التي بدت عليه عند دخوله الشقة: «أنا أيضاً لا أريد أن أحضر إلى هنا. يبدو أننا أخطأنا حين اعتقدنا أن بإمكاننا أن نثق ببعضنا البعض».

فقالت بصوت متهدج: «نعم».

توقف أثناء سيره لحظة، ثم ما لبث أن نصب قامته وتابع طريقه.

www.elromancia.com

٨ - الخديعة

أرادت إيلي أن تصرخ من الألم.

لقد تملكها هذا الشعور مرة من قبل فعاهدت نفسها بألا تسمح أبداً لأحد بأن يستغلها مرة أخرى، لكنها فشلت وكان الألم بالغاً. لم تعرف ما إذا كان بإمكانها أن تحتفظ بألمها في داخلها كما فعلت المرة الماضية... فقد كان بالغاً وعميقاً للغاية.

لكن حبها لساندور أعنف بكثير من ذلك الذي شعرت به وهي في التاسعة عشرة. ما من سبيل للمقارنة بين الشعورين. وشعرت وكأن يداً من فولاذ تعتصر قلبها.

لا يمكنها مواجهة الأمر. هذا كثير عليها! ما من شيء... أو أحد يساعدها في محنتها هذه ويخفف ألمها الذي لا يطاق. ما من شيء يعوّض تحطم آمالها العنيف هذا.

ووقع نظرها على الصور الملقاة على الطاولة. الحقيقة! عليها أن تعرف الحقيقة!

تناولت ورقة الفاكس وسارت متعثرة إلى الهاتف وهي تمسح دموعها، فرأت عنوان الوكالة. ثمة مكاتب لها في كافة أنحاء العالم حسب ما هو مدوّن على الورقة لكن المكتب الذي أرسل هذا الفاكس في نيويورك. حاولت أصابعها الثقيلة أن تطلب الرقم مرتين قبل أن تفلح في ذلك ولم تجد المرسل، وهو رجل يدعى هاوك في المكتب، فتركت له اسمها ورقمي بيتها وهاتفها الخلوي، طالبة منه

الاتصال بها فوراً. وأخبرت المجيب بأن الأمر مستعجل للغاية.

كان الأمر مستعجلاً فعلاً بالنسبة إليها، إذ لا يمكنها أن تركّز على خيانة ساندور لها طوال الوقت. يُقال إنّ الشخص لا يموت من تحطم القلب لكنها ليست واثقة من ذلك بعد شعورها هذا. لا تستطيع احتمال أن يكبر الجرح في قلبها. عليها أن تضمه إلى كل آلام الماضي التي عانتها وتضعه في صندوق تقفله نهائياً.

تملكها اليأس عندما شعرت بالعذاب يوشك أن يمزقها. جمعت الصور لتشغل عقلها عن التفكير في قلبها الدامي.

ابتدأت بمقالة الصحيفة. كان هاوك قد سجل اسم الصحيفة مع رقم الصفحة التي قُصّت منها المقالة. كانت صحيفة إسبانية، لكنها لم تواجه أيّ مشكلة لأنها تحسن اللغة الأسبانية جيداً.

لم تجد مزيداً من المعلومات. كان اسم الرجل المرافق للمرأة التي تبدو توأماً لها مذكوراً في المقالة الأساسية. قامت إيلي بأبحاث عن اسمه فاكتشفت مقالات عدة أخرى عنه، لكن هذا كله لم يزدها إلّا كآبة.

يبدو أنّ حظهما هي وأختها سيئ في الرجال. فهذا الرجل خرج مع الكثير من النساء في السنة الأخيرة، ولم تجد مقالة تتابع قصته مع (المرأة الغامضة).

وأخيراً، قررت إيلي أن الوقت حان للرجوع إلى المصدر الأساسي. علّمها عملها مع العاطلين عن العمل كيف تبحث في خلفيات الشخص للوصول إلى مستندات ومعلومات مدعمة بالوثائق. ابتدأت في البحث في سجلاتها الخاصة منذ الولادة، وعما يشير إلى ولادة أي أخ أو أخت. أمضت في ذلك حوالي ساعة توقفت بعدها مصدومة وعيناها تكادان لا تركزّان بما يكفي على الكلمات البادية

على شاشة الكمبيوتر. لقد وُلدت توأماً. وحسب السجلات التي بحثت فيها، لم تُسجّل وفاة أختها.

إحساس داخلي جعلها تتصل بصديقة لها في المكتبة العامة. كانت هذه المرأة زبونة ساعدتها إيلي في الانتساب إلى مدرسة ليلية وفي الحصول على مركز أمينة مكتبة في مدينة صغيرة غرب بوسطن. طلبت منها أن تجمع مقالات الصحف التي تحتوي على اسم أسرتها منذ وقت ولادتها.

وبعد ساعتين، اتصلت بها صديقتها لتخبرها بما هز كيانها وعالمها بأجمعه.

لم تدهش إيلي وهي تجد أباها في مكتبه عصر يوم السبت، لكنه دهش لرؤيتها.

وقف وابتسامة الترحيب على شفتيه: «لماذا جئت يا إليانور؟».

- جئت لأسألك عن سبب كذبك عليّ.

ضاقت عيناه الزرقاوان: «كذبت عليك بالنسبة إلى ماذا؟».

- ماذا حدث؟ هل ثمة الكثير من الكذب ما يجعلك تريد أن تعلم أي كذبة منها أغضبتني؟

- طلبت من ساندور ألّا يذكر مسألة اتفاقية العمل. كنت أعلم أنك ستستائين منها.

- اتفاقية العمل بينكما، أنتما سمكتي القرش، لا تهمني.

- لا تهمك؟

- كلا.

- إذن، ستتزوجينه على أيّ حال؟

- أبداً.

بدا جورج وينثويرث منكمشاً، وأكبر من سنه البالغ أربعة

وخمسين عاماً، وقال: «ظننت...».

- مهما كان ظنك فهو خطأ. لكنني لست هنا لأتحدث عن ساندور أو الكارثة التي تمكنت في آخر لحظة من أن أتجنبها.

- ألن تتزوجيه؟

- أنا جئت لأتحدث عن هذه.

وألقت أمامه صورة.

لم يكن لدى إيلي شك في أن والدها سيبدأ البحث عن أختها. لكن حقيقة أنه كفّ عن البحث، واضعاً قضية ابنته المفقودة جانباً مع غيرها من الأعمال الفاشلة، جعلتها تصمم على ألّا تدع هذا الأمر يمرّ بسهولة. إنها قادرة تماماً على العثور عليها بنفسها، أو على الأقل بإمكانها أن تستأجر وكالة جيدة للتحري عنها، مثله.

حدّق أبوها في الصورة وامتقع وجهه وسألها: «من أين أنت هذه الصورة؟».

- اسأل ساندور.

فرفع رأسه بحدة: «وما دخل ساندور في هذا الأمر؟».

- ظنني أخدعه.

- لكنني أخبرته أنك في أسبانيا.

- أحقاً؟

- نعم.

- يمكنني ملاحقتك قانونياً. أوقف حراسك أو أوقفهم أنا.

- تباً لك، يا إليانور! أنت تعلمين أنه لا يمكنني القيام بذلك. إنه تصرف غير مأمون.

- أتعني كما كانت هي في وضع مأمون؟

ازداد شحوب وجهه: «لم يكن ثمة شيء يمكنني القيام به بعد أن

www.elromancia.com

اختفت. لم نجد أثراً نتبعه».

- وتخليّت عن البحث.

- كانت هذه هي الطريقة الوحيدة للحفاظ على صحة عقلي. كيف عرفت بأمرها؟

- ليس منك بكل تأكيد.

أجفل لكنه لم يقل شيئاً، بينما تابعت: «إنه حدس داخلي، فأوكلت إلى إحدى الصحف أمر البحث عن تاريخ ولادتي».

- لم نجد لها أثراً.

- لماذا لم تخبرني عنها؟ لدي الحق في أن أعرف.

- وما الفائدة من ذلك؟ عندما أصبحت كبيرة بما يكفي لتفهمي الأمور، أدركت أننا لن نراها قط مرة أخرى. معرفتك بذلك كانت لتؤلمك فقط.

- ومنذ متى اهتممت بي وبما يؤلمني؟ أنت لم تخبرني عن أختي كيلا أصرّ عليك وأحثك على البحث عنها. أنت تعلم أنني كنت سأفعل هذا فأنا عنيدة جداً بالنسبة إلى من أحب.

- لم أستطع احتمال ذلك، فقد كان الألم كبيراً.

جاء اعترافه هذا بصوت منخفض معذب.

- أي ألم بالضبط؟ شطب ابنتك من حياتك كما تفعل بالمشاريع الفاشلة؟

صاح بها: «أنا لم أشطبها إنما لم يكن ثمة ما يمكنني فعله».

فقالت: «من قال إنني كنت أتحدث عنها... فقط؟».

دارت على عقبيها ثم غادرت الغرفة. ناداها لتعود لكنها تجاهلت التوسل في صوته، تماماً كما تجاهل طلبها الحنان منه منذ أربع وعشرين سنة.

عندما دخلت بيتها، وجدت رسالة على المجيب الآلي. كان المرسل هاوك.

اتصلت به والانزعاج يتملكها من الرجال الذين لا تتلاءم أولوياتهم مع أولوياتها.

وبدون أن تذكر اسمها قالت: «أخبرت المكتب لديكم بأن الحالة طارئة...».

- الآنسة وينتويرث؟

- نعم.

- لم يمض على اتصالك سوى خمس ساعات.

- الحالة الطارئة تعني الاستجابة الفورية يا سيد هاوك. ويدهشني تسامح زبائنكم معكم.

- أنت لست من زبائني.

- وإن يكن...

فتنهد: «أعترف بأنني أفضل ألّا تجري بيننا هذه المحادثة. ولكي أوضح كلامي هذا، تحطّم علاقة بسبب معلومات أحضرتها أنا، لا يعني تحمّلي للمسؤولية».

- بل يجب أن تتحمّلها إذا كانت معلوماتك خاطئة.

- أرجوك، يا آنسة وينتويرث. سمعت هذا كله من قبل. تبدأ الدموع ثم الرشاوى من دون نتيجة. ما من شيء يمكن أن يقنعني بأن أتصل بوكيلي وأخبره بأن ثمة خطأ. ليس ثمة خطأ.

- هل أنت واثق تماماً من ذلك؟

- بكل تأكيد.

هزّت رأسها لغطرسته، لكنها اكتفت بأن تقول: «لا يهمني أن تتصل بذلك الجُرذ الخداع الذي استخدمك».

www.elromancia.com

فسألها مشككاً: «ماذا تريدين إذن؟».

- أريد أن أعرف أين كنت أنت أو رجلك عندما أخذت هذه الصور؟

- لا يمكنني أن أجيب عن هذا السؤال. رجالي كلهم في منتهى التعقل والحذر، فلا تشعري بالانزعاج لأنك لم تدركي أن ثمة من يتبعك.

- أنا لا أعني أين كان رجلك في ما يتعلق بالناس الذين في الصور. أعني أين كان جغرافياً؟

قال بلهجة ساخرة: «في أسبانيا».

فقالت غير مصدقة: «في أسبانيا؟».

كانت المقالة في صحيفة اسبانية، لكن «الفتى العابث» الذي يرافق أختها هو من أفراد عائلة أسبانية شهيرة تدير إحدى أكبر الشركات الخاصة. لم يرد في المقالة أي معلومات عن مكان التقاط الصورة له مع تلك السيدة الغامضة.

- أنت تعلمين أنه كان هناك.

- لا، يا سيد هاوك. أنا لا أعلم في أي مدينة كان؟

شعرت بالغثيان. كانت مع أختها في البلاد نفسها وحتى على الساحل نفسه كما يبدو من سير الأمور.

- هل هذا المزاح ضروري؟

- أجب عن أسئلتي فقط ثم أقفل الهاتف وأتركك بسلام.

- أخذت تلك الصور في برشلونة وبالقرب منها.

همست لاهثة: «لو بقيت في المدينة، لرأيتها».

لماذا استقلّت حينذاك الحافلة من المدينة الكبرى إلى مدينة أصغر على الساحل؟ لأنها كانت هاربة من ساندور. وتملكها الألم فنبذت

هذه الأفكار وعادت تسأله: «هل تبعت ذينك الرفيقين إلى أي مكان آخر؟».

-لا. لقد طلب مني موكلي أن أتوقف عن المراقبة فاستدعيت مساعدي.

كان لديها مكان تبدأ منه، واسم أيضاً. إنه (الفتى العابث) الذي شوهدت أختها معه.

- هل لك، يا سيد هاوك، أن تنصحني بوكالة تساعدني في العثور على شخص يهمني أمره؟

- هل تطلبين مني أنا النصح؟

كادت تضحك للهجته غير المصدقة وأجابت: «نعم. لقد استخدمك ساندور وهذا يعني أنك الأفضل. أو، على الأقل، تعرف من عليّ أن أتصل به إذا لم أستطع الاستعانة بك».

- من الذي تريدين أن تعثري عليه يا آنسة ويتويرث، إذا سمحت لي أن أسأل؟

- الرفيقان في الصور التي التقطتها، خصوصاً المرأة.

- ما من وكالة قد أنصحك باللجوء إليها ترضى بأن تزيف أدلة وتشير إلى وجود امرأة أخرى لكي تبرئك من التهمة.

- أنا لست متهمة. في الواقع، وبسببك... نجوت من التهمة نهائياً، وهذا يعني أن عليّ أن أشكرك لأمرين يا سيد هاوك.

- (هاوك) فقط. ما هما الأمران؟

- لولاك لما أخبرني ساندور قط عن الاتفاقية التي عقدها مع أبي واستعملني ضمانة لها. ربما كنت سأتزوجه. ثانياً، لأنك أخذت تلك الصور لأنني عرفت الآن أن لديّ شقيقة، حتى إنني أعرف من أين أبدأ البحث عنها. لو لم تكن تقيم في نيويورك لعانقتك.

www.elromancia.com

أخذ ساندور يحدّق إلى صور إيلي والرجل الآخر. عندما رأى الصور لأول مرة رفض أن ينظر إليها مرة أخرى، وكان ينوي أن يمحو النسخ التي بقيت على الكمبيوتر.

بعدئذ، ذهب إلى إيلي وأخبرها بفسخ علاقتهما. وها هو ذا يجلس الآن يدقق النظر في الصور وقد تملكته الهواجس. بدت له إيلي أنحف في هذه الصور. ألا يُفترض أن تضيف الكاميرا خمسة كيلو غرامات إلى وزنها؟ كما أن حاجبيها مختلفان بشكل ما.

حاول أن يعود بأفكاره إلى حين رآها آخر مرة. هل كانت تبدو كالصورة؟ لم يستطع أن يتذكر. كان الغضب يعميه... تباً لذلك!

لم يشأ أن يعترف بأنه يريد أن يحوّل عينيه عن صور امرأته، والتي تظهرها مع رجل آخر. إنها له. لكن إذا ما خرجت مع رجل آخر، فهي لم تعد تخصه. لم تعد له بعد الطريقة التي افترقا بها في شقتها...

كبرياؤه هي التي وافقت على أن يخرج من بيتها بدلاً من أن يلحّ عليها للحصول على تفسير، وإن عنى هذا أن أي تفسير لم يكون مقنعاً. كان مشمئزاً من نفسه حتى لرغبته في معرفة رأيها، لرغبته في التفهم.

أمر واحد فقط لم يفهمه، وهو عودتها مستعدة للزواج منه. لماذا؟ لماذا ترغب في الزواج منه بعد بعد أن خرجت مع رجل آخر؟ كان يعلم أن أمواله ليست السبب أو حتى مركزه الاجتماعي، فهي لا تحتاج هذين الأمرين، أو هذا ما يعتقده.

إنهما لم يتزوجا بعد. ولكن ما إن التزمت به حتى أصبحت تخصه. وجعّد إحدى هذه الصور بيده وكأن فكرة وجودها مع رجل آخر عذّبت فيه مشاعر يرفض أن يعترف بها. ما كان له أن يشعر

بهذا الشكل. إذا أرادت رجلاً آخر، فيمكنه أن يواجه ذلك كما يواجه عملاً فشل.

لكنه كان قد أخبرها بأن علاقتهما ليست اتفاقية عمل، وهي لم تكن كذلك فعلاً بل أكثر. تباً لها!

عاد يحدّق في الصورة. لماذا لا تنفك غريزته تحدثه بأن في الصور خطأ ما؟ يبدو أنه لا يريد أن يرى المرأة التي تخصه مع رجل آخر. هذا هو الخطأ.

أخذ يحدّق في الصورة التي تظهرها على الشاطئ. جسم إيلي هنا يبدو غير ما عهده، أم أنها خدعة من الكاميرا؟

رن هاتفه فرفعه معلناً اسمه: «كريستوفايدس».

- ساندور. أنا هاوك.

- نعم؟

- تلقيت لتوي اتصالاً غريباً من خطيبتك.

- نحن لسنا خطيبين.

قوله هذه الكلمات بصوت مرتفع جعله يشعر بفراغ في داخله وعليه أن يركز على تجاهل هذا الشعور.

- هذا ما قالته هي.

- هل كانت غاضبة منك؟

- لا، بل شكرتني في الواقع.

- هل وجدت ذلك غريباً؟

هو أيضاً استغرب ذلك. لم يكن يتوقع أن تشكر إيلي هاوك على كشف تصرفاتها مع فتى إسبانيا العابث.

- لم أستغرب ذلك بعد أن أوضحت السبب. يبدو أنها تظن أنك، أنت ووالدها، استغليتماها بشكل كبير.

شخر ساندور.

- طلبت مني أن أدلها على وكالة جيدة تساعدها في العثور على شخص.

- من هو؟

- المرأة التي في الصورة.

تجمد كل ما في داخل ساندور: «هل تدّعي أنها ليست صورتها؟».

- نعم.

- وأرادتك أن تبحث عن تلك المرأة؟

- ليس في البداية. لا. طلبت مني أن أعطيها اسم وكالة أخرى. ولكن إذا لم تكن المرأة التي في الصور خطيبتك فيكون رجالي قد اقترفوا غلطة مما يحمّل وكالتي المسؤولية. أنا لا أحب الأخطاء يا ساندور.

- أعرف هذا. وهذا هو السبب الذي يجعلني لا أتعامل إلّا مع وكالتك. هل ستبحث عن تلك المرأة؟

- نعم. لكنني أردت، من باب التهذيب، أن أخبرك بذلك أولاً.

- شكراً. أقدّر لك هذا.

- ساندور؟

- نعم؟

- أنا آسف.

كان ساندور يعلم مقدار الصعوبة التي يجدها هاوك في قوله هذا. هو وهاوك يشتركان في هذه الميزة. فهما يكرهان اقتراف الأخطاء والاعتراف بها، لكن الكلمات تعني أكثر من ذلك. ما كان هاوك ليعتذر لو لم يقتنع بادعاء إيلي. إذا ما صدّقها، فهذا يعني أن

الدلائل التي لديها والتي تؤكد أن الصور ليست لها، هامة جداً ومقنعة.

تملكه إحساس عنيف بالارتياح، وجاهد ليبقي صوته طبيعياً وهو يسأله: «ماذا تقول إيلي عن شخصية تلك المرأة؟».

- أختها التوأم وقد اختُطفت من المستشفى بعد ولادتها تقريباً. لم تجد الشرطة أدلة فقد اختفت الطفلة كلياً، ولم يتلقّ أحد طلب فدية قط.

استغرق استيعابه لكلمات هاوك ثوانٍ لأنها كانت مختلفة عن كل ما توقع أن يسمعه: «لم أكن أعلم أن لإيلي أختاً».

- هي أيضاً لم تكن تعلم ذلك.

- ألم يخبرها أبوها؟

-لا. ولديّ شعور بأنه، حالياً، على القائمة السوداء بالنسبة إليها.

- مثلي أنا.

- نعم، مع الأسف.

شتم ساندور، لكنه ما زال يشعر بسرور لم يشعر بمثله منذ زمن طويل. لم تخرج إيلي مع رجل آخر بل بقيت تخصه: «وكيف عرفت؟».

- أدركت أن الصور ليست صورها.

- وهكذا أدركت على الفور أن لديها أختاً توأماً.

-لا. أخبرتني أنها ظنت أن المرأة مجرد شبيهة لها بشكل غير مألوف، لكن غريزتها حدّثتها بغير ذلك. لذا، أخذت تتفحص سجل ميلادها.

- فاكتشفت أن لديها أختاً توأماً؟

- نعم. وقد تحققت من المعلومات ومن الصحف التي تحدّثت عن خطف الطفلة. كما أن الآنسة وينثويرث كانت تقيم في فندق صغير في مدينة ساحلية صغيرة بعيدة عن برشلونه، فيما كانت وكالتي تلاحق توأمها ورفيقها في أنحاء المدينة.

كان ساندور واثقاً من أن هاوك ضاعف جهوده للتأكد من المعلومات فسأله: «ما هو احتمال تدخل الحظ في وجودها في إسبانيا في الوقت نفسه؟».

- ضعيف. ولكن في عمل كعملي، نتعلم أن نتقبّل إمكانية حدوث هذا النوع من الأمور أكثر بكثير من عامة الناس.

- أنا أؤمن.

- لقد كدّرها ذلك.

- أتعني إيلي؟ ما الذي كدّرها؟

- أنها كانت قريبة جداً من أختها المجهولة لديها، ولم تتقابلا.

- لا شك في أن الكثير من الأمور تكدرها حالياً.

وكان في صمت هاوك موافقة. وسأله ساندور: «ألم تتحدث إلى السيد وينترويرث بعد؟».

- إنه الاتصال التالي الذي سأقوم به.

- دعني أعلم ما ستعرفه.

- هذا غير ممكن. ففي هذه القضية إيلي هي زبونتي.

- فهمت.

رفع ساندور هاتفه وطلب رقم إيلي. لم تجب فلم يدهشه ذلك، وبعد أن كرر طلبها مرات عدة رأى أنه من الأفضل أن يفعل ما قررا ألّا يفعله أبداً، وهو أن يذهب إلى بيتها.

لقد غير رأيه، لكنه كان واثقاً من أنها لم تفعل. ودخوله من باب

بيتها لن يكون مهمة سهلة. قالت إنها لا تريد أن تراه مرة أخرى أبداً وكانت تعني ذلك. لكنه لم يصل إلى ما وصل إليه في الحياة بالاستسلام.

كان في طريقه إلى شقتها عندما رن هاتفه الخلوي. وكان هذا هاوك مرة أخرى، فسأله من دون مقدمات: «ما الخبر؟».

- عندما اتصلت بجورج وينترويرث لأتحدث إليه، فوجئت بخبر نقله إلى مستشفى خاص قريب من بيته. عُثر عليه منهاراً على أرض مكتبه منذ ساعتين.

- هل هناك من استدعى إيلي؟

- إنها لا ترد على الهاتف.

- أنا في طريقي إلى شقتها.

- هذا حسن. عندما تراها أخبرها بأنني أبحث عن أختها.

- سأفعل.

حاول أن يتصل بإيلي مرة أخرى، لكنها لم تجب.

اتصاله الأخير كان بأمه. ذلك الحديث كان بمثل صعوبة الحديث الذي يتوقعه مع المرأة التي يريدها مرة أخرى.

طرق ساندور باب إيلي بعد أن دخل المبنى لكنها لم تجب أيضاً.

لم يدهشه هذا أيضاً لكنه لم يذعن. طرقه مرة أخرى، لكنه لم يسمع صوتاً من داخل الشقة. وعاد فطرقه منادياً باسمها: «إيلي. أنا ساندور لديّ خبر عن أبيك».

واندفع إلى الشقة التي يقيم فيها حرسها وطرق الباب. وعلى الفور، فتح له الباب رجل طويل في الخمسينات: «نعم؟».

- أتعرفني؟

www.elromancia.com

- نعم يا سيدي.
- هل غادرت الآنسة وينترويرث شقتها هذا المساء؟
- لا يا سيدي.
- هل أنت واثق؟
- اتخذنا احتياطات إضافية منذ الأسبوع الماضي، يا سيدي. لا يمكن أن تكون قد غادرت الشقة من دون علمنا.

أومأ ساندور ثم تحوّل عائداً إلى باب إيلي حيث تابع الطرق حتى سمع صوتاً من الداخل: «بالله عليك، يا ساندور. سيطلب أحد جيراني الشرطة بسبب الإزعاج. ابتعد من هنا».

كان صوتها عنيفاً زاجراً. ونظر من ثقب الباب آملاً أن تكون هي أيضاً تنظر إليه، وقال: «كلا».

- لن أدخلك.
- أبوك في مشكلة يا إيلي.

فقالت بغضب ممتزج بالألم: «نعم. إنه كذلك».

عبس ساندور، كارهاً إبلاغها بالخبر. يكفي ما عانته هذا النهار، لكنه لم يجد سبيلاً آخر: «إنه في المستشفى».

ساد الصمت في الناحية الأخرى من الباب ثم رنّ جرس هاتفه الخلوي. كانت هي تطلبه فأجاب: «آسف، يا عزيزتي».

- ماذا تعني بقولك إنه في المستشفى؟
- أخبرني هاوك أنهم وجدوا أباك منهاراً على أرض مكتبه منذ أكثر من ساعتين. وقد أسرعوا به إلى مستشفى خاص.

عندئذ، فتحت الباب ووقفت ويدها على مقبض الباب وهي تنظر إليه بعينين باردتين للغاية وقد اختفى اللون الأخضر من زرقتهما وبدتا حمراوين منتفختين: «أرجو ألّا تكون هذه خدعة منك».

- أنا لا أؤلف أشياء كهذه.
- هذا ما تقوله.

لم يشعر ساندور بالاستياء لعلمه بعدم جدوى ذلك في مثل هذه الظروف. كان يعلم جيداً أنه المخطئ، أما ما لا يعرفه فهو كيف يمحو الضرر الجسيم الذي أحدثه حديثهما الماضي.

رأى أن بالإمكان أن تصفح عنه لعدم إيمانه بإخلاصها إزاء الأدلة الدامغة التي لديه، لكنها لن تصفح عن اتفاقية العمل بينه وبين أبيها والتي كانت هي حجر الأساس فيها. وتنهد: «كما قلت لك، وجدوا أباك منهاراً على أرض مكتبه عصر هذا اليوم. حاول موظفوه الاتصال بك، لكنك لا تجيبين على هاتفك».

- لا أريد أن أتحدث إليه أو إليك.

وتجاهلت الجواب على كل ما يتعلق به أو بشركته أو بشركة أبيها. وقال: «أنا متفهم لذلك».

- لا. لست متفهماً. أنت لا تحبني، ولهذا لا يمكنك أن تكون متفهماً على الإطلاق.

وارتجفت ذقنها.

٩ - هل تحن القلوب؟

لم يعرف ما عليه أن يجيبها فقال: «سآخذك إلى المستشفى».

هزّت رأسها نفياً، لكنه رأى جسدها النحيف يرتجف وهي تقول: «يمكنني أن أذهب بسيارتي».

- لا ينبغي أن تقودي سيارتك بحالتك الحالية.

فقالت غاضبة: «أي حالة يا ساندور؟ نزيفي الداخلي بعد اكتشافي مدى خداعكما لي، أنت وأبي؟».

- لم أكن أعرف أنّ لك أختاً.

- لكنك تعلم عن اتحاد الشركتين، وأنني لم أكن في نظرك سوى ضمانة لاتفاقية.

- لم يكن الأمر بهذا الشكل.

لكنه يعلم أنها ستراه بهذا الشكل. الرجال والنساء لا يفكرون بالطريقة نفسها. يبدو أنه وإيلي يختلفان أكثر من غيرهما في استنتاج بعض المعلومات: «أنا لم أكن أستغلك. أردتك شريكة حياتي».

هزّت رأسها. هل هذا تكذيب لكلامه؟ أم تراجع عن قولها؟ هذا ما لم يعرفه.

ابتلعت ريقها بتشنج، وأطبقت أسنانها بشدة تمنع بذلك ذقنها من الارتجاف. ومع ذلك، شعر أنها على بعد خطوة عن الانهيار.

- لن أناقش هذا حالياً. هل هو حقاً في المستشفى؟

أخذها بين ذراعيه قبل أن تسقط إلى الأرض: «نعم يا عزيزتي.

لقد اتصلت بالمستشفى وأنا في طريقي إلى هنا، لكي أطمئن إلى حالته. قيل لي إن حالته مستقرة لكنهم لم يعرفوا سبب الأزمة بعد».

ورغم دهشته، شعر بالسرور لأنها لم تدفعه عنها. وتمتمت وهي تدس وجهها في صدره بينما جسدها يهتز بالنشيج: «أنا أعرف السبب. الذنب ذنبي».

- لا. هذا غير صحيح.

- لقد أخبرته عنها. عن أختي... ومن دون سابق إنذار ثم اتهمته بأنه تخلّى عنها وعني أنا أيضاً. وتركته من دون أن أصغي إلى ما أراد قوله.

لو أدرك أن المرأة التي في الصور ليست هي، لرافقها لمواجهة أبيها. كان ليجعل الأمور أقل وطأة على المرأة التي أراد أن يتزوجها وعلى أبيها. لكن عينيه خدعتاه، وها هم جميعاً يدفعون الثمن.

أخذ يربت على ظهرها: «هش... إنك تألمت. كان علي أن أكون معك هناك. لولا خصامنا ذاك، لكنت معك. أنا آسف جداً».

ابتعدت عنه بعد أن تمكنت من كبت مشاعرها التي تدفقت كالعاصفة. ومسحت عينيها بقفا يديها وهي تقول: «علينا أن نذهب إليه. ينبغي أن أراه».

تنهد بصمت ارتياحاً لأنها قررت أن تدعه يأخذها. إنها بحاجة إليه رغم عدم إدراكها ذلك. سألته وهما في السيارة: «كيف عرفت بأمر أختي؟».

- اتصل بي هاوك.

- هذا صحيح. ذكرت شيئاً عن الحديث معه. هل هو من أخبرك عن أبي؟

- نعم، في اتصال هاتفي آخر.

- لقد تملكتني صدمة عندما عرفت أن لي أختاً.

- لا شك في أنه أمر مروّع بالنسبة إليك. لكنني ابتدأت أشك في وجود خطب ما في الصور قبل أن أتحدث إلى هاوك.

- ماذا... لماذا؟

- المرأة التي في الصورة تبدو مثلك لكن ثمة اختلاف غامض.

- لماذا لم تلاحظ ذلك قبل أن تتهمني بالخيانة؟

- في البداية، كنت من الغضب بحيث لم أستطع أن أدقق في الصور.

فقالت بارتباك: «لكنك، بعد ذلك، لم تعد مستاءً للغاية».

- بعد أن طردتني من شقتك، ذهبت إلى مكتبي. كانت الصور هناك....

وسكت لا يريد أن يعترف بالسبب الذي دفعه إلى رؤيتها ولو من خلال الصور التي تبدو فيها مع رجل آخر.

- وعدت إلى النظر إلى الصور؟

- نعم.

- ودققت بما يكفي لترى الفرق بيني وبين أختي التوأم؟

- نعم.

- ظننتك ستحرقها قائلاً: «لا ردّها الله».

- كانت على جهاز الكمبيوتر.

- امحها إذن.

إذا كان في محوها ما يمحو المشاعر التي تملكته لفعل. ومع ذلك قال: «أنا مسرور لأنني لم أمحها».

- لماذا؟

- لأنني رأيت الحقيقة في ما بعد.

- أراهن على أنك لم تتقبّل ذلك إلا بعد اتصال هاوك بك.

- هذا صحيح.

- لكنك ارتحت لذلك.

- نعم.

- لا أفهم السبب. بعد أن تبيّن أن كلبك الحارس كان يراقب امرأة أخرى، ما الذي يثبت لك أنني لم أقم علاقة مع شاب إسباني في الوقت نفسه؟ لعلي قررت أن أجرب عشرة غيرك.

حاول ألّا يتأثر بوقاحتها. شعر أنه يستحق سخريتها هذه، لكنه، من ناحية أخرى، أراد أن يزمجر طالباً منها أن تخرس. لم يعجبه صدور هذه الكلمات من فمها وقال: «لقد عدت إلى بيتك مستعدة للزواج مني. وما كنت لتفعلي ذلك لو أردت معاشرة مع رجال آخرين».

- ربما قررت أنك أفضل من أولئك الذين جربتهم.

- لم يستطع أن يمنع نفسه من الزمجرة الآن فيما اشتدت يداه على مقود السيارة: «ما كنت لتفعلي ذلك».

- ليس هذا ما قلته هذا الصباح.

- لقد صدقت الأدلة التي أمام عيني.

لعله بكّر في الإعتقاد بأنها ستفهم وتصفح عن موضوع جدالهما هذا بسهولة أكبر من الموضوع الآخر.

التفتت لتنظر من نافذتها، قائلة: «هذا غير مهم».

- لا أوافقك الرأي. أنا مدين لك باعتذار.

- لأي سبب؟

- بسبب عدم ثقتي بك، بسبب إتهامي لك بعدم الإخلاص.

- نحن غير متزوجين وبالتالي لن أعتبر غير مخلصة لك إذا

عرفت غيرك. ولا يمكنك أن تتأكد من أنني لم أفعل... وهذا لا يعني أنني غير مخلصة.

- كفي عن هذا الكلام.

- لماذا؟

- أنت تدفعينني إلى الغضب.

- أحقاً؟

- حقاً. لا أريد جدالاً آخر معك.

- ربما أنا أريد.

- في ما بعد. عندما لا تكونين ضعيفة بهذا الشكل، تعمّدي الشجار. أما الآن، فأرجوك. أتوسل إليك يا إيلي... توقفي عن إثارة أعصابي.

شهقت وكأنها صدمت.

هل تظن أنه لا يهتم بها بما يكفي لكي يتنازل عن كرامته ويحميها؟ إنه ليس بهذا الضعف.

بعد دقيقتين من الصمت المتوتر بينهما، تنهدت: «هذا غير مهم، حقاً. لكنني لم أعرف أي شخص آخر».

- أعلم هذا.

- هذا لا يشكّل أي فرق، فأنا لن أتزوجك يا ساندور. ربما قررت أن تثق بي، لكنني أدرك الآن أنني لا أستطيع أن أثق بك. وهذا لن يتغيّر.

- هل هذا بسبب اتفاقية العمل؟

- نعم.

- ستنسى ذلك.

- لا. لن يحدث هذا.

وصلا إلى المستشفى فرأى أن الوقت غير مناسب الآن لهذا الحديث. لقد فقد مكانته عند إيلي لكنها عادت إلى بيتها لكي تتزوجه، وهو سيعيدها إلى ذلك الوضع مرة أخرى.

- سنناقش الأمر في ما بعد.

- لا فائدة من ذلك.

لم يجب بل أوقف السيارة، ثم دار حولها ليساعدها على النزول. كان وجهها شاحباً وعيناها حمراوين وقد اغرورقتا بالدموع مرة أخرى.

مال عليها يلامس صدغها: «سيكون على ما يرام، يا عزيزتي، إنه صلب العود».

- أعرف هذا.

لكنها أخذت تغالب دموعها مرة أخرى.

أمسك بمرفقها، وعندما لم تنتزعه منه، اعتبر ذلك دلالة طيبة. لكن الأمر أقلقه أيضاً، إذ لم يكن جورج العضو الوحيد الصلب في أسرة وينتويرث. وأن ترغب إيلي في أن تستند إليه بالرغم من شعورها الحالي نحوه، يعني أنها تشعر بضعف شديد.

وضع ذراعه حول خصرها ثم دخلا المستشفى.

دخلت إيلي إلى المستشفى والمشاعر تغلي في داخلها. كانت لا تزال غاضبة من أبيها، لكنها تشعر بالذنب وبالألم نحوه ونحو ساندور لخيانتهما لها. كما شعرت بالخوف وهو خوف يشلّ التفكير. إنها لا تريد الموت لأبيها، فهو كل ما لديها في الحياة، حتى لو لم تكن علاقتهما حميمة كما ترغب.

كان مستيقظاً، فاستقرت عيناه الزرقاوان عليها وهي تقترب من السرير. لم يبتسم ولم يتكلم.

www.elromancia.com

وقفت على بعد متر منه، لا تعرف ماذا تفعل، متمنية لو يقول هو أو ساندور شيئاً. كانت حنجرتها مسدودة، وإذا بجورج وينتويرث يفعل ما لم يفعله منذ كانت طفلة صغيرة حتى أصبحت ذكرياتها عنه أشبه بالأحلام. فتح ذراعيه لها قائلاً: «تعالي، يا حبيبتي».

فركضت إليه.

ضمها إلى صدره فأخذت تبكي: «أنا... آسفة... يا... يا بابا، لم أكن أعلم... أن هذا سيحدث لك».

- أعرف هذا، يا طفلتي. أعرف هذا.

وأخذ يربت على ظهرها وهو يضمها بحرارة وقوة: «أنت لم تخطئي... وأنا هنا بسبب أخطائي وليس أخطائك».

رفعت رأسها وهي تجاهد التحكم بدموعها لكن هذه لم تتوقف: «لكنني... قلت...».

لامس خدها: «قلت الحقيقة. إصغي إليّ يا إليانور. أنا ارتكبت أخطاءً عديدة معك، لكنني لن ألومك قط على الكلمات التي قلتها لي بعد ظهر هذا اليوم. كلماتك تلك أيقظتني. أنت منحتني الأمل في أن أرى طفلتي الصغيرة مرة أخرى لأول مرة منذ أكثر من عشرين عاماً. وإزاء غضبك البالغ ذاك، أدركت أن لدي ابنة هي بحاجة إليّ الآن، وإن لم أجد ابنتي الأخرى أبداً».

- كيف لم تعلم من قبل أنني بحاجة إليك؟

امتلأت عيناه بالألم: «طوال عقدين من الزمن وأنا أتدرب على تجاهل احتياجاتك، لأنني لم أكن استطيع مواجهة المشاعر على الإطلاق. لا مشاعرك ولا مشاعري. كنت أباً حقيراً، ويا ليت الزمن يعود بي إلى الوراء لأغيّر الماضي، لكن هذا غير ممكن. عندما ماتت أمك، انعزلت عن المجتمع، حدث ذلك بسرعة، وعندما

اختفت أختك، كانت مشاعري شبه ميتة، فلم أجتهد بما يكفي في البحث عنها. تقبّلت الأمر من دون نقاش...».

تهدج صوته. ومضت ثانية قبل أن يتابع: «عندما أخبرتني الشرطة أنّ ما من أدلة يتبعونها، لم أجادلهم. وهكذا، وبعد مرور سنة على اختفائها من المستشفى، اعتبرت الشرطة القضية مقفلة لنقص الأدلة. كما أنني أوقفت العمل مع مكتب التحريات الذي استعنت به».

وأخذ يبكي، مائلاً بوجهه عنها: «ليس لديّ عذر. عندما أتذكر طفولتك، أشعر وكأنني استبعدتك كليّاً كما فعلت بها. لقد أهملتكما، أنتما الاثنتين، من كافة النواحي».

إنطلق صوت جهاز الإنذار الذي بجانب السرير، فاندفعت إلى الغرفة ممرضة يتبعها طبيب. حاولت إيلي أن تقف وتبتعد عن طريقهما، لكن والدها تعلق بها يمنعها: «لا. إنه قلبي فقط وهو سيتحسن. المشاعر القوية ليست من عادته فضاق بها».

وعندما حاول أن يضحك، انتهت ضحكته بصفير مليء بالألم، لكنه لم يدعها تذهب.

- أرجوك يا أبي. دعهم يهتمون بك، أرجوك. لا أريد أن أفقدك مرة أخرى.

- لن تغادري المستشفى. أليس كذلك؟

كان التوسل في صوته الذي اختنق بدموع لم تره يذرفها قط من قبل.

- أعدك بألّا أغادر الردهة.

- أنا أحبك جداً، صدقيني يا إليانور، أرجوك. أعرف حقارتي في عدم إظهاري ذلك، لكنني أحبك أكثر مما أحب حياتي.

لم تعرف إن كان عليها أن تصدّقه. أرادت ذلك، أرادته بشدة.

وتملكها الضيق. لكن أربع وعشرين سنة من الإهمال لا تزيلها الدموع التي تمزق القلب والاعتراف بالمحبة البالغة. المرض يجعل المرة عاطفياً ضعيفاً ميالاً إلى البكاء، وسيعود إلى طبيعته الجافة حالما يشعر بتحسن. لكنها لم تقل شيئاً من ذلك.

قالت له بابتسامة باهتة: «وأنا أيضاً أحبك. لطالما أحببتك».

تركها فتراجعت إلى الخلف مفسحة الطريق للطبيب ليتقدم منه ثم سارت إلى الباب حيث وقف ساندور الذي وضع ذراعه حول كتفيها وقادها إلى الردهة. عندما خرجا من الباب ضمها إلى صدره، يحميها من الضجة وشعور الوحشة الذي يتملكها. وفجأة شعرت بذراعين أخريين تحتضنانها: «هل هي بخير، يا ساندور؟».

- إنها قوية يا ماما.

رفعت إيلي رأسها: «هيرا؟».

- نعم، يا ابنتي. أنا هنا. تعالي لنذهب إلى غرفة الإنتظار.

كانت عيناها تفيضان حناناً لكن إيلي أجابت: «أخبرته بأنني لن أتجاوز الردهة».

- الغرفة هنا بجانب الردهة. وهي لا تبعد أكثر من عشر خطوات. ستعرفين على الفور ما إذا كان بحاجة إليك. سيحرص ساندور على ذلك، ولكنك بحاجة لأن تجلسي يا طفلتي.

استطاعت هي وابنها أن يقنعا إيلي بالذهاب إلى غرفة الانتظار.

أجلساها بينهما على أريكة. لم يكن في الغرفة أحد غيرهم ما جعل إيلي تشعر بالسرور، فهي تكره أن يرى غرباء ضعفها.

وضع ساندور ذراعه حول كتفيها فاستندت إليه تستمد منه قوة بينما أخذت هيرا يدها وراحت تربت عليها: «هذا يوم صعب عليك، أليس كذلك؟».

فأجابت إيلي بصوت مرتجف: «نعم».

- أخبرني ساندور بكل ما جرى.

رفعت إيلي رأسها وأخذت تنقل نظراتها بين الأم وابنها: «كل ما جرى؟».

أجابت هيرا وعيناها تفيضان حناناً: «نعم. كان ابني غبياً للغاية، ولكن عليك أن تعذريه بعض الشيء، فهو لم يكن يعلم بوجود أختك أكثر مما تعرفين».

- هل أخبرك عن اتفاقيتهما بشأن اتحاد الشركتين ودوري في ذلك؟

بدا الحزن على وجه الأم: «نعم. إنهما لا يعرفان قلب المرأة، أليس كذلك؟».

- هذا صحيح، لا أظنهما يعرفان.

فقال ساندور متذمراً: «أنا هنا».

- وأنت محظوظ لأنك هنا، فلا تدفع حظك بعيداً يا بني.

فقالت إيلي وهي تخنق ضحكة: «أراد أن يراني. لم أجب على الهاتف فجاء بنفسه».

- أعرف هذا فقد اتصل بي من السيارة وهو في طريقه إلى بيتك.

- ربما، لولاه، ما كنت لأعرف. ماذا لو مات أبي من دون أن أعلم؟

واغرورقت عيناها بالدموع.

ودخل الطبيب الغرفة: «الآنسة وينتويرث؟».

- نعم؟

- لقد أعطيت أباك منوماً. وهو الآن بحاجة إلى راحة.

- ماذا حدث؟

- لم يستطع قلبه أن يحتمل الصدمة عندما علم أن أختك حيّة، والكشف عن بعض الأمور الشخصية المؤلمة، هذا كله كان كثيراً عليه. الخبر الجيد هو أن الفحص أظهر أن الإصابة خفيفة للغاية وبالتالي سيتمتع بصحة جيدة لكنه بحاجة إلى راحة وعدم التعرض إلى أي توتر وإجهاد.

- إنه يدير شركة دولية... وأظنه معرضاً للتوتر دوماً.

- عليه أن يعتاد العيش بشكل مختلف لبعض الوقت.

رفعت إيلي نظرها إلى ساندور: «كيف؟».

اكتفت بسؤالها هذا لكنها أدركت أنه يعلم ما تعنيه.

- سأعمل مع موظفيه فتستمر الشركة في سيرها بسهولة. هاوك سيجد أختك وكل شيء سيكون على ما يرام يا عزيزتي. صدقيني.

- هذا ما أريده، لكنني خائفة للغاية.

فقالت هيرا تشدّ على يدها: «عليك أن تكوني واثقة. سيساعدك ساندور».

- ولكن...

- بالرغم من طريقته الجاهلة في التودّد إليك، إلّا أنه رجل ذكي وكفوء. وهو سيحمي أباك من مزيد من ضغط العمل إلى أن يستعيد صحته.

فقال الطبيب: «هذا كلام حسن. يمكنك أن تعودي إلى بيتك يا آنسة وينتويرث لأن والدك سيستيقظ قبل ساعات».

- وعدته ألّا أترك المستشفى.

فقالت هيرا: «إذن، ستبقين وسأبقى أنا معك. عد إلى البيت يا ساندور لترتاح، فغداً سيكون لديك الكثير من العمل في إدارة

الشركتين».

حاول ساندور أن يجادل لكن هذا لم ينفع فأمه تماثله عناداً. وهكذا، رتب مع الطبيب أمر بقاء المرأتين في غرفة قرب غرفة المريض فللثراء امتيازات، خصوصاً في مستشفى خاص.

نامت إيلي جيداً وفي الصباح التالي كانت بجانب سرير أبيها قبل الفطور.

فتح عينيه وأخذت نظراته تبحث في أنحاء الغرفة، لتستقر عليها جالسة إلى جانب سريره من ناحية الباب.

ابتسم لها شاكراً: «ها أنت هنا».

- أين سأكون إذن؟

- ما كنت لألومك لو عدت إلى بيتك رافضة العودة لرؤيتي.

فقالت هيرا من عند العتبة: «ما كانت إيلي لتفعل أمراً كهذا».

- لم أدرك أنك هنا، يا سيدة كريستوفايدس.

- إيلي بحاجة إليّ في هذا الظرف.

بدت هذه الكلمات في غاية العذوبة في أذني إيلي.

لم يقف أحد إلى جانبها كما أصرّت هيرا على أن تفعل أو كما فعل ساندور أمس. كما أنه اتصل بعد السادسة صباحاً بقليل إذ أحس أنها ليست نائمة فاتصل ليطمئن عليها.

عرض عليها أن يأتي إلى المستشفى، لكنها تعلم أن لديه ما يكفي من العمل في شركته وشركة أبيها، فأخبرته بألّا يأتي.

- شكراً لأنك صديقة طيبة لابنتي.

- يسرّني هذا. كانت لتصبح ابنة لي قريباً لو أنك أنت وابني لم تفسدا الأمور بهذا الشكل.

فأجفل: «فهمت قصدك».

www.elromancia.com

- نعم. أرى ذلك.

أمسكت إيلي بيد أبيها وهي تقول: «علينا ألّا نفكر في هذا حالياً».

شدّ على يدها بتشنج وكأنه يخاف أن تنزعها منه: «لكنني أحب أن أتحدث عن ذلك... إذا لم يكن لديك مانع».

عضّت إيلي شفتها: «لا أريدك أن تتكدر مرة أخرى».

سحبت هيرا كرسياً إلى جانب سريره، وقالت: «تحدثت إلى الممرضة المسؤولة فقالت إن الفطور سيقدّم بعد ثلث ساعة».

كان هذا موضوعاً عادياً لكنه بدّد التوتر الذي بدأ يسود الجو. وأومأ والد إيلي برأسه: «حلوتي...؟».

- عدني بألّا تسمح للتوتر بأن يثير أعصابك مرة أخرى.

فابتسم: «أعدك».

- ماذا تريد أن تقول؟

تنهد قبل أن يبدأ الحديث. وانقبض قلبها إزاء تردده: «فاتحت ساندور بموضوع اتحاد الشركتين بعد أن رأيت الطريقة التي ينظر بها إليك».

- ما الذي تتحدث عنه؟

الطريقة التي ينظر بها ساندور إليها؟

تلاقت عيناها بعيني أبيها اللتين لم تجفلا. وأدركت أنه مصمم على أن يكون صادقاً تماماً: «أنا لا أدعي أن هذا مجرد إيثار وحب للغير من جانبي، فقد أدركت منذ وقت طويل أن لا رغبة لديك في إدارة شركتي من بعدي. فقررت أن أتخذ شريكاً يمنحني أحفاداً يرثون شركتي».

- ولن يمنحك أولئك الأحفاد من دون معاونتي.

- بالضبط.

- وهكذا قدمت له نصف شركتك إذا تزوجني؟

- نعم، لكنني كنت أعلم أنه يريدك هو أيضاً، شخصياً.

هذا أمر ما زالت غير واثقة منه تماماً. لكنها لم ترفض ثقة أبيها به... إذ لم ترَ فائدة من ذلك. يبدو أنه يعتقد أن ساندور يريدها وهذا ما قادهما إلى هذا الحديث.

- هل من المفترض أن يحسّن هذا الكلام الوضع؟ ماذا عما أردته أنا؟

- أنت ألقيت على ساندور النظرة نفسها التي ألقتها أمك عليّ عندما تعارفنا لأوّل مرة.

- بأي شكل؟

طرحت سؤالها هذا لأنها كانت متلهفة لمعرفة حقيقة علاقة أبويها وكيف كانت حياتهما معاً، أكثر مما أرادت أن تعرف كيف يرى أبوها رأيها في ساندور.

- ألقت أمك عليّ نظرة صياد جائع. كانت امرأة مغامرة كعينيها، وهما بلون عينيك. كانتا مليئتين بالحذر والجاذبية معاً. أرادت أن تروّض الأسد، لكنها لم تكن واثقة من إمكانية ترويضي.

- هل كنت فتى عابثاً؟.

- لا. كنت رجل أعمال مثل ساندور... كسمكة القرش. كنت قد ورثت ثروتي، بعكس فتاك. لكنها لم تكن كافية بالنسبة إليّ. كنت في الثامنة والعشرين فقط عندما عرفت أمك. عملنا سنوات جنباً إلى جنب فضاعفت ثروة أبي.

- هل كنت تحبها؟

- كثيراً.

www.elromancia.com

تصدّع شيء ما في داخل إيلي لقوله هذا. كان قد أحب ذات يوم.

- كيف ماتت؟

كانت تعلم أن أمها ماتت أثناء ولادتها، لكنها تعرّضت لحادث سير أيضاً. لم تسأله قطّ عن التفاصيل... حسناً، لم يكن هذا من نوع الأسئلة التي تطرحها على أبيها، ولم تجد أحداً آخر تسأله.

- تعرّضت لحادث سير قوي ما جعلها تلد قبل الأوان... أنجبتكما ثم غابت عن الوعي. لم تسترد وعيها قط، وماتت بعد أسبوع من ولادتكما.

- هذا محزن.

- لي أنا أيضاً. إنها امرأة رائعة وكانت لتصبح أماً رائعة. لم أربكما كما كانت تريد. لقد خيّبت أملها بتقصيري نحوك ونحو أختك... كنت أكافح من أجل مكاسب في العمل أريدها، لكنني كنت أضعف من أن أواجه الألم الذي تملكني لفقدانها.

قالت هيرا وهي تجلس على كرسيها بجانب السرير: «الفشل ليس مرضاً نهائياً إلا إذا سمحت له بأن يصبح كذلك».

رفع رأسه وتلاقت أعينهما: «أنا لن أدع نفسي أموت. أريد أن أصلح ما فعلته بابنتيّ، بشكل ما».

أومأت هيرا: «هذا شعور يدعو إلى الإعجاب لكنه لن يكون سهلاً».

- أعرف هذا.

- إذا كان الأمر صعباً للغاية، وغرقت في عملك مرة أخرى، فلن تتاح لك فرصة أخرى... إن ابنتك مكتفية بنفسها للغاية.

- ومستقلة أكثر مما ينبغي.

- هل كنت تفضلها ضعيفة؟

- لا.

- هذا حسن.

لم تمانع إيلي الاستماع إلى هذا الحديث الذي لا يتطلب مساهمتها. ثمة الكثير مما عليها أن تستوعبه. وبقدر ما تريد أن تثق بأبيها مرة أخرى، إلّا أنها لا تعلم إن كان بإمكانها ذلك. لقد آلمها كثيراً، سواء وهي طفلة، أو وهي امرأة. كما أن آخرين آلموها أيضاً... اكتشفت أن بإمكان الألم الذي لا يطاق أن يشكّل حاجزاً ضخماً بينها وبين قبول أمور مثل الحب والحنان.

www.elromancia.com

١٠ - ألن ترتاح؟

وصل طعام الفطور فأكلوا معاً وهم يضعون برنامج الأيام القادمة. أخذت إيلي تأتي إلى المستشفى كل صباح فتتناول الفطور مع أبيها قبل أن تذهب إلى العمل. كانت تعلم أن هيرا تمضي معه ساعتين كل عصر ثم تعود إيلي في المساء لتمضي معه بعض الوقت قبل النوم. وكان ساندور يتصل به يومياً.

كان ساندور يتصل بإيلي مرتين أو ثلاث مرات يومياً، لكنهما لم يريا بعضهما البعض. كان يعمل عشرين ساعة يومياً ليتمكن من الاهتمام بشركته وشركة أبيها.

وكانت إيلي ممتنة، إلى حد ما، لفترة الراحة هذه من صحبته. عرفت أنه يراها أهل للثقة وأنه ما زال يريد أن يتزوجان لكنها لا تريد أن تناقشه في هذا الأمر حالياً.

كان هاوك لا يزال يبحث عن أختها. فالرجل الذي كانت معه اختفى عن الأبصار ووجد رجال هاوك صعوبة في العثور على ملك المال ذاك. لم يعرفوا كما لم يعرف الصحفيون في تلك المجلة، هوية رفيقة ملك المال الغامضة.

في تلك الاثناء، كانت إيلي تتعرف إلى أبيها كما لم تعرفه قط من قبل. أخبرها بالكثير عن أمها، وجديها، وعن نفسه أيضاً. وكلما ازدادت معرفتها به ازداد إيمانها بأن هذا التغيير فيه نهائي وأنه يحبها حقاً.

لكن جزءً منها لم يصدق هذا التغيير تماماً. ستنتظر حتى يعود إلى عمله وحياته العادية لترى إن كان أمرها لا يزال يهمه وسيمضي وقتاً معها.

خرج من المستشفى عصر يوم الجمعة التالي، وكنت تلك أطول فترة استراحة رأته إيلي يأخذها. ورغم أن اليوم التالي كان يوم سبت، إلّا أنه قصد مكتبه لعدة ساعات. وقد حرص ساندور على أن يجعلها ساعات قليلة ثم رافقه في العودة إلى البيت عند الغداء.

كان قد رتب الأمر مع إيلي بحيث تتناول الغداء مع أبيها. انتظرتهما وقلبها يخفق، فهي لم تر ساندور منذ السبت الماضي.

وعندما رأته، قاومت لهفتها لاحتضانه. بدا مرهقاً لكنه يدير شركتين وهذا يكفي لكي يطرح معظم الرجال أرضاً، ولكن ليس ساندور. نعم. بدا مرهقاً، لكنه ما زال من القوة والرجولة بحيث شعرت بركبتيها تضعفان لدى رؤيتها له وهو يشير إلى أبيها بالدخول.

كانت قد أعدت عصير الفاكهة على صينية قبل وصولهما، وحملته إليهما حال جلوسهما.

جلس والدها بقربها، وتناول منها كأس الشراب قائلاً: «شكراً يا حبيبتي».

- أهلاً وسهلاً. كيف كان العمل؟

- كل شيء على ما يرام بفضل جهود ساندور الرائعة. لم يكن لديّ الكثير لأفعله.

فقالت بابتسامة جافة وهي تناول ساندور كأسه: «كان هناك ما يكفي ليبقيك أربع ساعات».

كان ساندور يجلس بجانبها، فقال وهو يتناول منها كأسه: «أخذ يتفحّص كل ما فعلته ليطمئن إلى أنني لم أخلط الأمور ببعضها أو

أفسدها».

- كلام فارغ. كنت أعلم أنك ستقوم بالعمل كأحسن ما يمكن، يا ساندور، ولكن ثمة أمور لا يمكن تفويضها إلى أحد مهما بلغت درايته.

عادت إيلي إلى الجلوس مبتعدة عن ساندور قدر إمكانها. ولم تستطع إلّا أن تسأله: «كيف الحال؟».

- لابد أن هذا السؤال موجه إلى أبيك.

- صحة أبي تبدو أفضل مما كانت، أما أنت فتبدو شاحباً ومرهقاً للغاية.

- كان أسبوعاً شاقاً لكنني تجاوزته.

- أنت بحاجة إلى مزيد من الراحة، يا ساندور.

وعندما هزّ كتفيه من دون جواب، عبست: «هل ستعود إلى المكتب بعد الغداء؟».

- ثمة أمور بحاجة إلى رعاية واهتمام.

- دعها تنتظر.

اتسعت عيناه بينما ضحك أبوها: «أصبحت تصدر الأوامر، وهي علامة طيبة. إنها تتصرف كما كانت أمها تفعل معي، ما يشير إلى أنها تشعر نحوك بالتملك».

احمر وجهها: «حتى لو لم نعد نخرج معاً، ما زلت أعتبر ساندور صديقاً. أنا لا أشعر نحوه بالتملك لكنني أهتم به بصفته صديقاً».

كان هذا كذباً فهي تشعر بالتملك نحوه، لكن اعترافها بذلك سيجعل له حقوقاً عليها وهذا ما لا تريده. إنها تحبه وما أدركته خلال الأسبوع الماضي هو أن هذا الحب، ومهما كانت عيوبه،

سيستغرق وقتاً طويلاً ليموت. كان حبها متضرراً ولعله ينزف دماً، لكنه ما زال حياً للغاية في داخلها.

راح الرجلان ينظران إليها متفحصين. وقال ساندور: «سيسعدني أن أبقى بعيداً عن مكتبي إذا وافقت على قضاء فترتي العصر والمساء معي».

- لديّ ما أقوم به عند العصر.

فسألها أبوها: «مثل ماذا؟».

- أتوقّع اتصالاً من هاوك في موضوع البحث عن أختي. كما أن شقتي بحاجة إلى تنظيف كما أريد أن أغسل ملابسي.

- يسعدني أن أساعدك في غسل ملابسك.

فضحكت عالياً: «هذا ما أراه».

هزّ كتفيه: «كانت مواردنا قليلة للغاية عندما جئنا إلى أميركا أنا وأمي فتعلمت كيف أفرز الغسيل وأطويه بكفاءة بالغة».

تصورته يمضي ساعات في شقتها ما أثار هلعها. فقالت: «لا أظنها فكرة جيدة».

فوضع يده على ساعدها: «علينا أن نتحدث يا إيلي».

قالت بصوت خافت وهي تتمنى لو أن أباها غير موجود فيسمعهما: «أنا لا أريد أن نتحدث».

- أرجوك يا إيلي...

أغمضت عينيها إزاء توسله، لكن تلك النبرة الدافئة تكررت في ذهنها: «لا أريد مزيداً من الألم بعد الآن، يا ساندور. أرجو ألّا تلحّ عليّ».

كرهت قول هذه الكلمات أمام أبيها لكن الرجلين كانا يدركان أنهما آلماها، وتساءلت إن كانا يدركان مقدار ألمها. إنها تعمل

www.elromancia.com

لإعادة بناء العلاقة بينها وبين أبيها، لكنها لا تعرف إن كانت ستمنح ساندور فرصة أخرى يوماً ما، خصوصاً بعد أن علمت أنها ليست، بالنسبة إليه، سوى لعبة يستخدمها لتحقيق مآربه.

تنهد ساندور: «لن ألحّ عليك الآن يا عزيزتي».

وتساءل إن لاحظت تشديده على كلمة (الآن). إنه يعلم أنها غير واعية لمدى الهشاشة التي تبدو عليها وأنها بحاجة إلى الراحة بقدر ما يحتاجها هو، ولهذا فهو لن يلحّ عليها اليوم. ولكن قريباً سوف يناقشان علاقتهما، وستمنحه فرصة أخرى فهي أكثر لطفاً ورقة من ألّا تفعل ذلك.

كما سبق وقالت إنها تحبه وهو يعلم أنها صادقة. فإذا كانت قادرة على قتل مشاعرها، لتوقفت عن حب أبيها منذ وقت طويل. وهي لم تفعل ذلك أبداً ما منحه أملاً.

اتصل هاوك في الصباح التالي ليقول إنه وجد شقيقة إيلي. واسمها هو آمبر تايلور وكانت تبحر في يخت ميغل مينينديز وقد دخلا المرفأ لتوهما بعد أن أمضيا أكثر من أسبوع في البحر.

بعد أن عرف هاوك اسم أختها، استطاع جمع المزيد من المعلومات عنها. إنها عارضة أزياء ناجحة، لكنها ليست متميزّة تماماً، ولهذا السبب لم ترها إيلي في مجلات الأزياء. كما أنّ قلة حضور إيلي للمناسبات الاجتماعية ساهم في عدم ملاحظة أحد الشبه بينها وبين عارضة الأزياء.

نشأت آمبر في مدينة صغيرة جنوب كاليفورنيا مع أمها هيلين تايلور، وكان الأب المزعوم متوفياً. وقد انتقلت حديثاً إلى عالم الأزياء، لكنها في الرابعة والعشرين ما يعني أن مهنتها لن تدوم سوى سنوات قليلة.

لم تكن تخرج مع الكثير من الشبان، وعلاقتها الحالية مع ميغل مينينديز هي الأولى في حياتها كما يبدو. لم يكن ثمة دليل على أنها متبناة، لكن هذا متوقع. أما ما لم يكن متوقعاً فهو أنها تحمل إسم الطفلة التي ولدتها هيلين قبل أوانها وماتت بعد ولادتها رغم جهود الأطباء.

- لن تخبر أبي أنك وجدتها، أليس كذلك يا هاوك؟

لم تشأ أن تغامر بأن يصاب أبوها بصدمة أخرى قد تؤدي إلى أزمة قلبية جديدة.

- أنت موكلتي يا آنسة وينتويرث وليس والدك.

- نعم، لا بأس. أعطني أنا المعلومات التي ستحصل عليها.

كتبت ما قاله هاوك لها ثم أقفلت الهاتف. ونظراً لطريقة عيش آمبر، تملك إيلي الشك في أنها تعرف شيئاً عن أسرتها الحقيقية، أو أنها تعلم أن لها أسرة أخرى.

كان هاوك يحقق في ظروف اختطافها محاولاً أن يتصور كيف انتهت آمبر مع هيلين تايلور التي لم تكن تتلاءم مع شخصية خاطفة أطفال في الشكل أو المظهر. كانت تتلاءم من كافة النواحي مع شخصية أم كرست نفسها وضحّت بالكثير من أجل نجاح ابنتها في المهنة التي اختارتها.

التقطت إيلي السماعة لتطلب ساندور بعد أن أنهت حديثها مع هاوك، وهي لا تعرف لماذا فعلت ذلك.

- إيلي؟

- لقد تحدّثت لتوّي مع هاوك.

- هل وجد أختك؟

- نعم.

- أين؟

- في أسبانيا، كانت مع صديقها في يخته، لكنهما رسيا على الشاطئ أمس.

لم يقل شيئاً.

- لا أدري ما عليّ أن أفعل يا ساندور؟ هل علي أن أظهر في حياتها فجأة من دون سابق إنذار؟ هل عليّ أن أتصل بها هاتفياً وأقول لها إنني أريد أن أقابلها؟ قد تكون أمها هي التي اختطفتها. ماذا سيكون شعورها؟

- أخبريني بكل ما قاله هاوك.

فأخبرته بكل شيء.

- أمها لا تبدو مجرمة. في الواقع، تبدو امرأة تهتم كثيراً بابنتها.

- وهذا هو رأيي، أنا أيضاً.

- لابد أن ثمة ظروف مخففة.

- لا أريد أن أؤلم آمبر.

- ولكن لا يمكن تجاهل ظروف مولدها.

- أعرف هذا.

- ربما من الأفضل الانتظار حتى يكتشف هاوك المزيد عن كيفية دخول آمبر حياة هيلين.

وهذا ما فعلته إيلي. لكن عندما أخذت الأيام تمرّ، راح توتر إيلي يتصاعد. افتقدت ساندور، رغم أنه كان يتصل بها مرات عدة يومياً. ومهما حاولت أن تذكر نفسها بأن حنانه كان زائفاً، بقي ذلك الشعور راسخاً لا يزول. لم تدرك مدى شعورها باكتمال حياتها بوجوده إلا بعد رحيله، وهي التي أبعدته. أخذ يدعوها على العشاء،

الغداء، وإلى المسرح، فترفض كل دعوة. لم يغضب منها قط. كان يذكرها فقط بأنه عندما يحين الوقت المناسب، سوف يضعها في موقف لن تستطيع الفكاك منه. وأكثر ما كان يخيفها هو عدم تأكدها مما تريده. في الواقع، كانت تودّ لو يأخذ هو زمام المبادرة من يدها فيأتي إلى بيتها...

ولم يأت، فجافاها النوم وأخذت تمضي الليالي وساعات فراغها والقلق يتآكلها. أرادت أن تخبر والدها أنهم عثروا على آمبر لكنها خافت من رد فعله إذا ما سمع ذلك.

اتصل هاوك وقال إنه لم يجد أي دليل على كيفية وصول آمبر إلى حياة هيلين تايلور بصفتها إبنتها.

- لم تكن هي الخاطفة، يا آنسة وينتويرث. وليس لديّ فكرة كيف أصبحت والدة شقيقتك.

كان هاوك قد علم المزيد عن آمبر وهيلين أثناء تحرياته. وكل المعلومات أثبتت أن هيلين تماثل هيرا في أمومتها الحنون. وكان مؤلماً أن يظن إنسان أن ذلك ابتدأ مع اختطافها، ولم تستطع أن تتصور شعور أختها عندما تكتشف ذلك.

عندما أنهت مخابرتها مع التحري، اتصلت بساندور.

شتم ساندور باليونانية عندما أخبرته إيلي ما عرفته.

قال بثقة جعلتها تصدقه: «آسف يا عزيزتي. لكننا لن ندع هذا الوضع يدمّر حياة أحد».

- ماذا عليّ أن أفعل؟

- نبدأ بأن نخبر أباك.

- (نبدأ)؟

- طبعاً. هل تظنين أنني سأدعك تقومين بهذا العمل وحدك؟

www.elromancia.com

لم يكن لديها الحق في أن تتصل به طالبة العون منذ افتراقهما، لكنها لن تخذله. وقالت: «شكراً».

كان والدها جالساً على كرسيه المفضل قرب الأريكة التي تجلس عليها ابنته في غرفة جلوسه الفسيحة، عندما تملكه الشحوب وهو يسمع ما قالته ابنته عما جمعه هاوك من معلومات.

- هذه هي إذن المرأة، هيلين تايلور. . . . التي يحتمل أنها خطفت ابنتي ثم أنشأتها على أنها الطفلة التي فقدتها؟

قال ساندور وهو يضم إيلي بذراعه القوية من دون أن تعترض: «نعم. هذا ما نظنه».

لم تعترض حين أجاب عنها. فقد كانت ترتجف في داخلها من التوتر والقلق من أن يتعب الحديث عن أختها قلب أبيها مرة أخرى.

وأضافت إيلي: «زوجها مات في حادث سيارة ما جعلها تلد قبل الأوان. يظن هاوك أن تشابه ظروف ولادتنا، أنا وآمبر، قد يكون المنبّه لفكرة الخطف».

فسألها أبوها بصوت أبح: «لكنها كانت أماً طيبة؟».

- مما استطاع هاوك أن يكتشفه، كانت مثالية من كافة النواحي فقد أحبت ابنتها حقاً وهي تعيش من أجلها.

كانت إيلي تتحدث مبعدة الكآبة من صوتها. من الخطأ أن تحسد أختها على استمتاعها بعطف الأم طوال حياتها، خصوصاً وهي تعلم أنها ستواجه ألم الحقيقة قريباً جداً. لكنها لم تستطع إلا أن تتساءل كيف كانت لتصبح حياتها لو رباها شخص يعتبرها مجرد ملحق في حياته؟.

قال ساندور: «أظن أن علينا أن نقابل هيلين تايلور أولاً».

مرّ والدها بيده على وجهه وتنهد: «موافق. لا شك أنها تعيش

في رعب بالغ خوفاً من أن يُكتشف أمرها. علينا أن نواجهها أولاً».

وكانت إيلي قد توصّلت إلى النتيجة نفسها: «سيكون الوضع مريعاً لنا جميعاً. أنا لم أعرف المرأة قط، لكنني لا أملك إلا أن أرثي لها. مهما كان سبب خطفها لآمبر، فهي تبدو محترمة تحب ابنتها».

وتنفست بعمق ثم قالت ما ينبغي أن يقال: «لا أريد إحضار رجال الشرطة إلى هنا. الأمر من دونهم سيكون شاقاً بما يكفي، فكيف بوجودهم؟».

أومأ أبوها: «سنعرف كيف حدث ذلك. . . لما أخذت إبنتي واحتفظت بها. . . وسنبدأ من هذه النقطة».

تملكها الارتياح وهي تراه يأخذ الأمر بهذا الشكل المتسامح. وقالت له: «أنت أكثر تفهماً مما توقعت أن تكون».

عبس وبدا الألم والشعور بالذنب في عينيه: «لا أستطيع أن أتجاهل أنها منحت ابنتي الحب الذي حرمتك أنا منه. ربما كنت ستعيشين في حال أحسن لو أنها أخذتكما، أنتما الاثنتين، معاً».

لم تعرف إيلي ماذا تقول. لم تكن تجيد الكذب ولهذا لم تستطع أن تقول إن الفكرة نفسها لم تخطر لها. قبل أن يتغيّر أبوها كانت تتساءل إن كان فقده لها سيؤثر فيه إطلاقاً. وشعرت بالذنب لطريقة تفكيرها هذه وأدركت أنها مخطئة. لكنها أمضت معظم حياتها وهي تعتقد بأنها إذا ما اختفت لأي سبب كان، فالشعور الوحيد الذي سيساور أباها هو الشعور بالإخفاق في تحمل مسؤولياته.

ابتدأت تعتقد أنها أصبحت تعني له أكثر من ذلك الآن. لكن أربعة وعشرين عاماً من التفكير بطريقة معيّنة، لا تزول بين ليلة وضحاها.

واستجابت لنداء قلبها فركعت على ركبتيها بجانب كرسيه واحتضنته: «أنا غير آسفة على أنك أنت الذي ربيتني».

على الأقل لم يكن هذا كذباً. لا يهم أي فكرة غريبة سيطرت عليها بعد اكتشافها جوانب هذا الموضوع، فهي شغوف بأبيها. وكلما حدثها عن أمها، كلما أدركت أنها تشبه المرأة التي ماتت قبل أن تجد الفرصة لتحتضن ابنتيها.

كانت ضحكته جوفاء، لكن احتضانه لها قوي: «أنت رقيقة الروح يا إليانور وتشبهين أمك كثيراً. أنا لم أستحقها، كما أنني لا أستحقك».

عادت بابتسامة صغيرة إلى مقعدها بجانب ساندور حيث مالت عليه قليلاً تستمد من قوته، وهي تقول لأبيها: «ربما، لكنك ملتصق بي رغم ذلك».

فقال بحزم: «سنستقل الطائرة إلى كاليفورنيا غداً لنقابل هيلين تايلور».

عادت ذراع ساندور تحيط بكتفيها يحتضنها: «سأذهب معكما».

لم تفكر إيلي حتى في النقاش. كانت متلهفة إلى مساندته. ونظرت إلى عينيه السوداوين: «أقدّر لك هذا».

عانقها برقة بالغة والغموض يكسو ملامحه: «اتفقنا إذن».

استقلوا طائرة ساندور الخاصة إلى مطار صغير قرب مدينة صغيرة تقيم فيها هيلين. لم تعرف لماذا اختاروا طائرة ساندور بدلاً من طائرة أبيها. ولكن عندما سألت إيلي أباها لم يجب بسوى أن ساندور أراد ذلك.

عمل الرجلان معاً بينما كانت إيلي تعاني من القلق والهياج. لكنها أخفت ذلك خلف قناع من الهدوء وراحت تتصفح مجلة أزياء

تحتوي على صور لأختها.

كان هاوك قد زودها بثروة من المعلومات عن مهنة آمبر. وقد أمضت إيلي الساعات وهي تنظر إلى صور أختها في الأزياء التي تعرضها، متسائلة عما تخفيه نظرات عينيها الخضراوين الرائعتين. الغريب هو أن اللون في عيني إيلي يبدو عادياً، لكنه في عينيّ أختها عارضة الأزياء يبدو غامضاً مثيراً.

فركت عينيها، متمنية لو تأخذ غفوة لكنها تعلم أنها لن تتمكن من النوم. فهي لا تستطيع أن تقفل ذهنها. لقد أفلحت في الحفاظ على قناع الهدوء على وجهها فيما هي ترغب في الصراخ والغضب. وقد استغرق هذا منها حياتها كلها.

لكن أعضاء أسرة وينتويرث لا يغضبون ولا يهتاجون حتى لو أرادوا ذلك. لا يمكنهم ذلك. كما أنّ أباها وشقيقتها بحاجة إليها حالياً.

كانوا قد أمضوا في الطائرة أقل من ساعة، وكانت تتثاءب للمرة الخامسة عندما، ومن دون إنذار، وجدت نفسها تُرفع عن مقعدها. شهقت وتمسكت بساندور بينما سقطت المجلة على الأرض: «ماذا تفعل؟».

فقال غاضباً: «أنت بحاجة إلى راحة. هل نمت ليلة كاملة منذ عودتك من أسبانيا؟».

تركت رأسها يستند إلى عنقه: «لا... لكنني لن أنام الآن أيضاً».

- سنرى.

ابتسمت لغطرسته هذه: «لا أستطيع. صدقني يا ساندور. ثمة أمور كثيرة تجول في رأسي».

تجاهل كلماتها وأخذها إلى غرفة النوم الضئيلة الحجم في آخر الطائرة حيث دخل ورفس الباب خلفه يغلقه.

قالت: «هذه غرفة جميلة. طائرة أبي لا تحتوي على غرفة نوم».

- أعرف هذا. ولهذا السبب أخذنا طائرتي.

- بسبب غرفة النوم؟

- نعم. فأنت لا تنامين، وهذا واضح لكل ذي عينين. لقد صممت على أن ترتاحي طوال الرحلة.

وبما أنها لم تتعوّد الدلال، شككت في كلماته هذه، ثم شعرت بغصة. وحتى لو لم تستطع النوم، فقد سرّت لهذه اللفتة... كثيراً. وهمست: «شكراً».

- أهلاً وسهلاً.

ومدّدها على السرير في وضع مريح: «هل أنت مرتاحة؟».

- هذا حسن.

ثم جلس على أخر السرير وخلع حذائيها وجوربيها.

- آه... شكراً.

- مرة أخرى، أهلاً وسهلاً.

- لا يمكنك أن تنامي بملابسك كاملة فاخلعيها.

- لن أنام على أيّ حال، فلا سبب يجعلني أخلع ثيابي.

- ستشعرين بمزيد من الارتياح.

تثاءبت. لم يكن ذهنها يعمل جيداً، سواء نتيجة صدمة أو ما تشعر به من إرهاق. كان عليها أن تتكوّم تحت الغطاء، لكنها تمدّدت في السرير وهي تتساءل عما سيفعله بعد ذلك.

جلس بجانبها واخذ يمرر يده على شعرها. وعندما حاول أن يعانقها، انقلبت مبتعدة عنه، ثم قفزت من السرير: «أظنني سأذهب

لأجلس مع أبي».

النظرة التي بدت في عينيه أنبأتها بأنها ستبقى في هذا السرير، سواء شاءت هذا أم أبت. وقف عند الخزانة والتي صادف وجودها بجانب الباب الذي كانت ستهرب منه ساداً عليها طريق النجاة.

شبكت ذراعيها على صدرها: «لا أحب أن أتلقى الأوامر من أحد، يا ساندور».

استند بظهره إلى الباب وشبك ذراعيه على صدره هو أيضاً، وألقى عليها نظرة شعرت بها تهزم نظراتها وقال: «لا أريد أن أرى امرأتي وهي تكاد تنهار إرهاقاً».

- أنا لست امرأتك.

تقدم منها بخفة الفهد: «نحن متخاصمان وأتقبّل هذا. لكنك لي».

فهمست منكرة رغم الكذب الذي بدا في لهجتها: «لا».

- تماماً كما أنني لك.

لمست هذه الكلمات التي تتلهف إليها أعماقها فهزّت رأسها لا تستطيع أن تنطق مرة أخرى بإنكار لا يتقبّله قلبها.

طوّق كتفيها بذراعيه واقترب منها حتى كاد جسداهما يتلامسان: «إذن، فأنت لا تهتمين فيما لو خرجت مع امرأة أخرى؟».

صرخ قلبها استنكاراً، لكنها اكتفت بأن تقول بجفاء: «لا تكن غير مهذب».

- لا تكذبي عليّ.

ابتلعت ريقها، متمنية لو انه ليس قريباً منها إلى هذا الحد.

- ليس لي الحق في أن أمنعك من الخروج مع امرأة أخرى.

- أنا أعطيك هذا الحق.

www.elromancia.com

فتحت فمها لكنها لم تستطع أن ترغم نفسها على النطق بالرفض.

عانقها بسرعة ولكن بحزم، وكرر قوله: «أنا أعطيك هذا الحق».

لم تستطع النطق بكلمة. أن ترفض هذا الحق هو أمر يفوق قدرتها، ولكن قبوله يتضمن أموراً كثيرة هي غير مستعدة لمواجهتها، فمالت برأسها إلى الخلف وعانقته بالسرعة نفسها ولكن بمزيد من الرقة. وأغمض عينيه وتنفس بعمق قبل أن يعود فيفتحهما: «سنصل إلى ما نريد، ولكن دعيني أهتم بك الآن».

رفعها ثم أعادها إلى السرير بحركات حذرة وكأنه لا يريد أن يجفلها، لكن النظرة في عينيه كانت تنبئ بأنه يتوقع منها أن ترتاح.

وامتلأت عيناه بحنان لم تستطع أن تقاومه، فاستسلمت لأمره ولم تعارض.

سألته: «ساندور ألن ترتاح أنت أيضاً؟».

- بلى، سآخذ غفوة، يا إيلي. لم أنم جيدا منذ الليلة التي اختفيت أنت فيها من بوسطن.

أرادت منه أن يحتضنها إذ كان عالمها دوّامة هائلة من الأحداث المخيفة. ورغم أنه خان ثقتها به، إلا أنه بدا لها واحة من الأمان لقلبها الذي تقاذفته العواصف.

وبصمت، اندست تحت الأغطية، فاقترب منها، ثم أطفأ النور وأخذها بين ذراعيه.

لم تقاوم، لكنها بقيت متوترة. لم تستطع أن تسترخي مع الحب الذي عاد متلهفاً فراح قلبها يخفق بسرعة، وعادت لهفتها إليه، لكنها لم تشأ أن تشبعها. ليس بإمكانها مواجهة ذلك حالياً.

مشاعرها نحوه نسفت الحواجز التي أقامتها بينهما لتحمي نفسها منذ اكتشفت خديعته هو ووالدها لها. لكنها الآن تريد وتحتاج إلى

الراحة والنوم، رغم أنها متلهفة لأن يحتضنها ويشعرها بالأمان ولو لفترة قصيرة.

بدا عليه التفهم فلم يحاول أن يقنعها بالاسترخاء. ضم جسدها المتصلّب إليه وطوّقها بذراعيه ثم أخذ يتحدث إليها هامساً بحنان حتى شعرت بالنعاس شيئاً فشيئاً وأخذ جسدها يسترخي واستسلمت إلى نوم لم تعرفه منذ مدة.

استيقظت بعد بعض الوقت حين شعرت بشخص يلامس خديها بحنان. وتملكها إحساس بأنه ساندور، وذلك قبل أن تستيقظ تماماً.

www.elromancia.com

١١ - لِمَ سرقت ابنتي؟

- استيقظي، يا حبيبتي. سنصل قريباً.

فتحت عينيها فوجدته جالساً على حافة السرير في كامل ملابسه فسألته غير مصدقة: «أتراني نمت طوال الرحلة؟».

- كنت بحاجة إلى الراحة.

كانت بحاجة إلى الراحة الليلة الماضية أيضاً، لكنها بقيت تتقلب في الفراش حتى سئمت فنهضت عند الفجر وأخذت تراجع عملها.

وقالت: «هذا ما قلته أنت».

- وكنت على حق.

- لا تظهر هذا الفخر كله.

- أي رجل لا يحب أن يكون على حق؟

غضنت أنفها: «لا أعرف رجلاً بهذه الصفة. لا أصدق أنني نمت جيداً بهذا الشكل».

- أنا أيضاً نمت كما لم أنم منذ أسابيع.

جلست في السرير وسألته: «متى سنصل؟».

- بعد نصف ساعة.

نظرت حولها حتى وجدت باب الحمام: «أنا بحاجة إلى بعض الانتعاش وإلى الاغتسال».

- أجدك جيدة جداً. ولكن بإمكاني أن أتفهم أنك تظنين أنه من الأفضل ألّا تبدي كعاشقة كانت تنعم بالحب.

- أنا لم أكن أتنعم بالحب.

- هل أنت واثقة من ذلك؟

ماذا يعني؟ إنه يحبها؟ لا، فهو لا يؤمن بهذا الشعور. هل من الممكن أن يكون قد تغير؟ تغير أبوها بعد أن كانت تظن ذلك مستحيلاً. هل تحركت مشاعر ساندور؟ لكن لو حدث له ذلك لقال شيئاً بدلاً من أن يلمّح إلى الأمر بشكل ملتوٍ متوقعاً منها أن تفهم.

ابتلعت أسئلة لم تكن تهتم بجوابها في وضعها الحساس هذا، وحدّقت فيه: «أعني أنني لم أكن في أحضانك».

- هذا صحيح. أظن أنّ هذا يأتي لاحقاً.

فقالت بصوت خافت ومن دون حماسة: «لا».

مال إلى الأمام حتى كاد أنفه يلتصق بأنفها: «هل أنت واثقة من أن هذه الكلمة هي التي ستقولينها في ما بعد؟».

فتحت فمها لتجيب، ولكن الكلمات جمدت في حلقها عندما عانقها. كان عناقاً ساحقاً كاملاً خنق أي احتجاج كانت ستنطق به. وبادلته العناق حتى أخذت تلهث.

وعندما أنهى عناقه، وقف وربّت بإصبعه على أنفها: «سنعود إلى هذا النقاش لاحقاً. استعدي يا حبيبتي. سأذهب لأرى ما يفعله أبوك».

وخرج، فيما نزلت هي من السرير ورأسها يدور ثم أسرعت إلى الحمام لتعود بعد ذلك وترتدي ملابسها.

استغرق الطريق من المطار إلى منزل هيلين تايلور أقل من ساعة. لكن التوتر داخل السيارة الليموزين بدا واضحاً عندما توقفت السيارة أمام البيت المتواضع.

وضعت إيلي يدها على ذراع أبيها وسألته: «هل ستكون على ما

www.elromancia.com

يرام؟».

كانت ابتسامته حارة مطمئنة، مختلفة عن الطريقة التي ينظر بها إليها عادة: «نعم، ولكن ماذا عنك؟».

- أنا خائفة.

أدهشت نفسها بهذا الاعتراف، ولكن لعلها تتغير هي أيضاً. أدركت أن معرفة الشخص بأن ثمة من يحبه تغير من معاملته للآخرين.

وضع يده على يدها: «كل شيء سيكون على ما يرام. ثقي بي، يا حبيبتي».

- لا أريد أن تتألم آمبر.

أو والدها أو هي نفسها، أو هيلين تايلور. ومع ذلك، لم تر كيف يمكن أن تتجنب ذرف بعض الدموع، على الأقل.

- ولا أنا. سنعالج هذا الأمر بأفضل طريقة ممكنة، ونثق بالآتي.

أومأت وهي تبتلع ريقها. نزل من السيارة أولاً، ثم ساندور الذي مدّ يده يساعدها على النزول. جذبها إلى جانبه واضعاً ذراعه حول خصرها وهم يصعدون درجات البيت إلى الباب. بالرغم من دفء جوّ جنوب كاليفورنيا، كانت تشعر بالبرد. اندسّت به بحنان واضح ما كانت لتظهره له منذ شهر. لابد أن شيئاً ما في داخلها قد تغيّر.

دق أبوها الجرس. وسرعان ما انفتح الباب ووقفت عند العتبة امرأة يصل شعرها الأشقر الجعد حتى ذقنها. كانت أنيقة وصغيرة الحجم. بدت شبيهة بالصور التي التقطها هاوك لها حديثاً. إحساس ما في داخلها دفعها لأن تتأمل إيلي. اتسعت عينا هيلين ثم بدا فيهما الضيق البالغ بعد أن بدا أنها تعرفت إلى جورج وينتويرث. وعادت

نظراتها إلى إيلي ثم إلى ساندور بملامحه الجامدة، لتعود إلى إيلي مرة أخرى.

- أنت تشبهينها كثيراً. تشبهين طفلتي.

تحركت شفتاها لكن من دون مزيد من الكلام بينما اغرورقت عيناها بالدموع وارتجفت ركبتاها. التقطها والد إيلي قبل أن تسقط على الأرض ثم حملها بين ذراعيه وكأنها طفلة، ودخل البيت. وأشار ساندور إلى إيلي بالدخول ثم لحق بها وأغلق الباب خلفهم.

شد ذراعه حولها بينما مالت هي عليه. كانت شهقات هيلين الهادئة هي الصوت الوحيد المسموع عندما قادهم والد إيلي إلى غرفة الجلوس. حمل هيلين إلى أريكة جلدية ثم مدّدها عليها بلطف. وحدّقت هيلين فيه بعينين مبللتين بالدموع وكأنها لا تصدق ما تراه، بينما ركع هو على ركبتيه بجانب الأريكة وأمسك بيدها: «سيكون الأمر على ما يرام».

لكن المرأة الشقراء هزّت رأسها وقد عادت الدموع تجري على خديها: «هذا غير ممكن. كنت أعرف أن هذا اليوم سيأتي لكنني تعلّقت بأمل ألّا يأتي. لم يكن هذا حسناً مني، أعرف هذا. كنت أنانية للغاية».

قال برقة بالغة جعل إيلي تتمنى لو تعانقه: «أخبريني لماذا أخذت ابنتي».

لم تكن تدرك أنه يتحلى بكل هذه الرقة والصبر حتى عندما تغير سلوكه بعد الأزمة القلبية التي أصابته.

وحاولت هيلين أن تتمالك نفسها: «أنا...».

- ما الذي يحدث هنا، يا ماما؟

شعرت إيلي بكل ما في داخلها يجمد. دارت على عقبيها لترى

القادمة التي كان صوتها يشبه صوتها هي. في البداية كانت تغالب دموعها لكنها الآن أخذت تقاومها بعنف بعد أن أحرقتها: «آمبر...».

وكانت آمبر تحدّق فيها وكأنها ترى شبحاً: «من أنت؟».

- أنا...

قاطعتها هيلين وصوتها يرتجف قليلاً: «إنها أختك».

هزّت آمبر رأسها عابسة وقالت: «أختي؟ كلا. هذا مستحيل».

وانتقلت نظراتها إلى أمها: «أنت لم تلدي توأماً. لقد تفحصت الأمر. لطالما شعرت وكأن ثمة حلقة ضائعة، فتحريت ولم أجد سجلاً لولادة أخرى. أنا الطفلة الوحيدة لهيلين وليونارد تايلور».

كانت إيلي تعلم أن أختها ترتجف في داخلها، رغم أن مشاعرها تلك لم تظهر على ملامحها. فهي، أيلي، أستاذة في إخفاء مشاعرها.

ويبدو أن ساندور أحس بإعصار المشاعر الذي يدور خلف مظهر آمبر الهادئ، فتقدم منها خطوة وقد مدّ يده وكأنه يريد أن يساعدها: «ربما من الأفضل أن تجلسي، يا آنسة تايلور».

سألته آمبر وهي تتراجع خطوة: «من أنت؟».

- أنا خطيب أختك، ساندور كريستوفايدس.

- ملك الشحن؟

- أتقرئين الصفحات الاقتصادية في الصحف؟

- أحياناً، عندما يتملكني الملل. وأنت جورج وينتويرث.

قالت هذا لوالد إيلي، وهي لا تزال محتفظة بتحكمها بنفسها.

لكن إيلي رأت قصة أخرى في العينين اللتين بدتا لها وكأنهما تنظران في مرآة. رأت قلق أختها على هيلين تايلور، والاضطراب

والغضب للكدر اللذين تسبب بهما هؤلاء الغرباء.

وقف الأب بعد أن وضع يد هيلين على الأريكة بلطف: «نعم... أنا هو... أنا جورج وينتويرث».

جلست هيلين ثم مسحت عينيها ومدت ذراعيها: «تعالي يا طفلتي. أريد أن أخبرك شيئاً».

سارت آمبر إلى أمها ببطء وعيناها مسمّرتان على جورج وينتويرث وكأنه ثعبان يستعد للقفز عليها. تراجع هو إلى الخلف ثم جلس على كرسي بجانب الأريكة تماماً كما يفعل مع إيلي ما جعلها تشعر بوخزة في قلبها. كانا أقرباء رغم جهلهم بذلك.

تركت آمبر أمها تشدّها لتجلسها بجانبها، وعيناها تنتقلان من إيلي إلى أبيها ثم إلى ساندور لتعودا إلى إيلي: «أنت تشبهينني تماماً».

- تقريباً.

- شعرك داكن أكثر. ألا تهتمين بتشقيره على الإطلاق؟

- لا.

- كما أنه أقصر.

- نعم. كما أن حاجبي طبيعيا الشكل، وأنا أفوقك وزناً بخمسة كيلوغرامات على الأقل. وأنا لا أرتدي أحدث الأزياء كما أنني لا أحب الركض.

ذكرت الركض الذي قال هاوك إنها تمارسه بانتظام: «لكنني أعشق الأفلام القديمة. كما أن مقاس أحذيتنا هو نفسه وأنا أفضّل الحلي المصنوعة من الفضة والذهب معاً».

صدر عن هيلين تايلور صوت ينمّ عن الكدر فأمسكت آمبر بيدها قائلة: «ماذا حدث، يا ماما؟».

www.elromancia.com

- أرجوك ألّا تكرهيني، يا آمبر، فأنا أستحق ذلك. أعلم هذا، لكنني قد أواجه أي شيء ما عدا هذا.

فقال جورج وينتويرث بصوت يجمع بين الرقة والحزم: «لن يكرهك أحد يا سيدة تايلور. سنعالج المسألة».

شعرت إيلي بالزهو به. وقالت آمبر: «لن أكرهك أبداً».

هزّت هيلين رأسها وقد ارتسم على ملامحها مزيج من الحزم والاستسلام: «قبل أن تدخلي الغرفة طرح عليّ السيّد وينتويرث سؤالاً. إنه يريد أن...».

وسكتت وكأنها تتمالك نفسها قبل أن تتابع: «إنه يريد أن يعرف لماذا سرقت ابنته».

- ماذا؟

تردد صدى صدمة آمبر لسماعها هذه الكلمات في الغرفة، وشعرت إيلي بموجة الصدمة هذه تصفعها بينما جمد جسم أختها. عندئذ، أحاط ساندور إيلي بذراعيه وجذبها ليجلسها معه على مقعد حيث ضمها إليه. بقي يحميها بعناقه بينما راحت هيلين تغالب دموعها وهي تأخذ أنفاساً سريعة متعاقبة.

١٢ - المصارحة

- عندما فعلت ذلك، لم أكن أظن أنني أسرق أحداً. أرجوك أن تصدقيني. ظننتك طفلتي.

وأزاحت هيلين الشعر عن جبين آمبر: «لم أحبك. لقد فقدت طفلتي في ذلك الحادث المريع الذي قتل ليونارد وسبّب لي ولادة مبكرة».

ونظرت إلى جورج وينتويرث وكأنها تحاول أن تفسر له ما تراه متعذّر التفسير: «بعض المراهقين لم يتوقفوا عند الضوء الأحمر واندفعوا مباشرة نحو سيارتنا. كدت لا أنجو من هذا الحادث. حينذاك، كنا نعيش بالقرب من بوسطن. أخذوني من بلدتي الصغيرة إلى المستشفى بالطائرة. وعندما ماتت طفلتي، أخذت أتردد على عنابر الأطفال في المستشفيات. وكنت موجودة في الليلة التي أحضرت فيها زوجتك. الكل كان يركض في الأنحاء وهو يتحدث عن حادث الاصطدام ذاك. كان أشبه بما حدث لي تماماً. ولو لم يكن مشابهاً له إلى هذا الحد، لما حدث شيء برأيي، لكنني شعرت وكأنني أعيش الحادث منذ البداية. كان الأطباء والممرضون من حولي يقولون ما كانوا يقولونه ليلة حادثي. من الصعب أن أفسّر ذلك، لكن شيئاً عنيفاً حدث في داخلي. بدا وكأنني أعيش ما حدث لي مرة أخرى، ولكن مع نتيجة مختلفة. اختلقت مجموعة كاملة من الذكريات يمكنني مواجهتها بشكل أفضل من الحقيقة. وفارقت

www.elromancia.com

زوجتك الحياة، لكن ابنتيها عاشتا، وأنا عشت لكن ابنتي ماتت. استقر في ذهني تلك الليلة أن طفلتي عاشت وهي آمبر».

أومأ والد إيلي وكأنه فهم هذا الأمر.

ومرّة أخرى، شعرت إيلي بموجة من الزهو به. وعادت هيلين تواجه آمبر: «لا تسأليني كيف تمكنت من إخراجك من المستشفى لأنني لا أتذكر. عندما أخذتك إلى البيت كانت كل ملابس وأغراض الطفلة موجودة. ظننتك طفلتي الصغيرة آمبر فأحببتك للغاية. وكنت أنت كل ما بقي لي».

أحاطت آمبر كتفي أمها بذراعها: «لا بأس في هذا، يا ماما».

- بل ثمة بأس. لقد عشت في الأوهام على أنها حقيقة مدة خمسة أعوام، باستثناء تكرر الكوابيس عن فقداني طفلتي. وكان لديّ هذا الاندفاع العنيف للتنقل في البلاد. ظننت أنني أريد أن أبتعد عن الذكريات المؤلمة عن والد... أعني زوجي. وفي ما بعد، أدركت أن عقلي الباطني كان يدفعني إلى الهرب من أمور أسوأ بكثير من مجرد ذكريات مؤلمة. لقد انتقلنا إلى هنا عندما كان عمرك أقل من عام.

قالت آمبر بلطف: «ثمة شيء جعلك تتذكرين».

كانت لهجتها أشبه بلهجة أبيها ما جعل إيلي تغالب مزيداً من الدموع. أومأت هيلين: «رأيت مقالة عن جورج وينتويرث في مجلة أعمال أسبوعية. إنني محللة في علم إدارة المال».

ونظرت إلى الواقفين من حولها فقال جورج بهدوء: «أعلم هذا».

ابتلعت ريقها بتشنج، ثم أومأت: «طبعاً».

وأخذت نفساً عميقاً آخر وشبكت يديها المرتجفتين معاً: «ذكرت المقالة اختفاء ابنتك وفوجئت بذلك. لم أتذكر أنني أخذتها لكنني

تذكرت موت ابنتي، وعلمت أن الطفلة التي أحبها أكثر من حياتي هي ابنة شخص آخر».

- لا أفهم، يا ماما... كان عليك أن تعيديني... أنا أعرف أنك...

نظرت هيلين إليها وعيناها العسليتان تنضحان بالتوسل: «نعم. لقد حاولت ذلك. لكنني عندما وصلت إلى بوسطن معك كان عليّ أن أبحث عن جورج وينتويرث. لم أستطع أن أسلّم ابنتي لأي شخص حتى ولو كان أباك الحقيقي. كنت خائفة مما قد يحدث لي، لكن خوفي من أن أفقدك أكبر. كنت سأتوسل ملتمسة الرحمة... كنت أرجو... أرجو أن يسمح لي بزيارتك. ولكن عندما سألت عنه، عرفت أنه سمكة قرش لا تعرف الرحمة. قالت تلك المقالة إنّ الكوارث الشخصية لم تخفف من انتباهه لعمله وإنّه يتصرف وكأنه لم يفقد طفلته كما أنه لم يكن يهتم بالطفلة التي بقيت لديه. عرفت أن الرجل المذكور في تلك المقالة سيرفع دعوى عليّ فأنتهي في السجن. كنت مستعدة لمواجهة ذلك... لكن عندما عرفت من موظفيه كيفية معاملته لابنته التي ما زالت عنده، اختلف الأمر. كان يتجاهلها، وقد ربتها المربيات والخادمات. ونادراً ما كانت تراه».

ونظرت إلى آمبر مردفة: «كنت طفلة صغيرة عاطفية للغاية. كنت ستتكمشين وتذوين حتى تموتي مع مثل هذا النوع من الرعاية. لهذا، لم أستطع القيام بذلك. لم أستطع أن أعيدك إليه. وهو لم يتغير قط. بقيت أراقبه وأصغي إلى ما يقال عنه وأراقب ابنته إليانور التي أرسلها إلى مدرسة داخلية قبل أن تتم الثامنة من عمرها».

وامتلأت عينا هيلين بالدموع وهما تقابلان عيني إيلي: «آلمني جداً أن أراك تتلقين مثل تلك المعاملة. لقد أحببت أختك من كل

قلبي كما أحببتك أنت لقرابتك وشبهك لها. لم أستطع أن أغير حياتك، لكنني منعت أباك من أن يعامل آمبر المعاملة نفسها».

قالت إيلي وهي تعني ما تقول: «فهمت».

قد لا يفهم كلامها أيّ شخص غريب، لكنها عاشت تلك الحياة القاحلة من المشاعر. وعادت تقول: «يسرني أن شقيقتي نجت من طفولة كطفولتي. يسرّني أنك كنت موجودة لتحبيها».

فقالت آمبر هامسة: «لكن أختي كانت بحاجة إليّ. لو أنك أعدتيني إلى أسرتي لوجدنا بعضنا البعض».

- فكرت في ذلك لكنني لم أستطع أن أضحي بسعادتك من أجل سعادتها. آسفة.

ودفنت هيلين وجهها بين كفيها وأخذت تشهق: «آسفة».

فانتقل الأب وجلس على الجهة الأخرى من أريكة هيلين، ثم مد ذراعه وضمها إليه وكأنه الوحيد الذي فهم مشاعرها وندمها. ولعل هذا صحيح. إن كان كل ما قاله في الأسبوع الماضي صحيحاً، فلابد أن الندم يثقله على معاملته لإيلي، بقدر ثقل حمل هيلين.

وقالت آمبر تسأل إيلي وقد بدا الاضطراب والحيرة في عينيها: «إذا كان أبي رجلاً رهيباً بهذا الشكل، فلماذا لا يصيح بها مهدداً بسجنها؟».

- لقد تعرض منذ أسبوعين لأزمة قلبية كادت تودي بحياته وقد غيّره هذا. أظنه يحبني حقاً الآن وأنا أعرف أنه سيحبك.

- ولكن، ماذا عن أمي؟

- لن يحدث لأمك شيء. أبي لا يريد أن يؤذيها وكذلك أنا. أردت فقط أن أعرفك. وأحب أن أعرفها هي أيضاً، إذا سمحت هي بذلك. لقد كانت أماً جيدة لك، واهتمت بك. وبعد استماعي إليها،

اقتنعت بأنها لم تفعل ذلك عن سوء نيّة.

فقالت آمبر: «أتقولين الحقيقة؟ لا أحد يتصرف بهذا الشكل في موضوع كهذا».

فضحك ساندور: «إيلي امرأة غير عادية».

- أنا مسرورة. لا أريد أن تتألم أمي.

قال جورج باقتناع وهو لا يزال محتضناً المرأة الباكية: «لن تتألم».

ثم تابع يقول: «لقد عاملتك بشكل أفضل مما عاملتك أنا به، فقد توقفت عن البحث عنك بعد عام فقط، وذلك من دون عذر. وكنت والداً كريهاً لأختك، لكنها أحبتني رغم هذا».

فقالت إيلي: «ثمة آباء أسوأ منك بكثير. أسوأ بكثير».

- شكراً، يا حبيبتي لكنني عندما أتذكر عينيك الشبيهتين بعيني أمك تتوسلان إليّ أن أظهر لمحة من العطف فلا أفعل... لا أغفر لنفسي أبداً...

- كنت تحتضنني أحياناً.

- أراهن على أنك تتذكرين كل مرة منها لأنها كانت نادرة.

فقالت آمبر بصوت خافت: «يا لك من نغل».

فأجفل الأب: «نعم، كنت كذلك. والحمد لله لأن إيلي لم تيأس مني قط. لقد أدركت خطأي، وأريد إصلاحه. وأظن أنّ بإمكاننا أن ننشئ أسرة الآن، كلنا، إذا شئتم».

- أنا لن اترك أمي.

- أنا مثل إيلي. أحب أن أجد فرصة لأتعرف فيها إليها.

عندئذ، ابتعدت هيلين من بين ذراعيه ومسحت دموعها. بدت محطمة لكن مطمئنة، رغم بعض الارتباك: «عشت سنوات من

الرعب. لم أكن أظن أن الأمور ستسير بهذا الشكل».

فقال الأب عابساً: «ما كان ليحدث هذا منذ عدة أسابيع».

فقالت آمبر: «لحسن الحظ أنك لم تعثر عليّ حينذاك».

وافقتها إيلي الرأي لكنها لم تقل شيئاً.

أصبحت الزيارة إيجابية تماماً. وجدت نفسها تعود فتصغي إلى أبيها وهو يتحدث إلى آمبر وهيلين. استوعبت كل ما قالوه، مستمتعة بذلك، لكنها لم تستطع أن تساهم بشيء.

إذا ما شعرت آمبر بالذهول من هذه الأحداث، فحال إيلي لم يكن مختلفاً. فهي لم تعتد بعد على أن يكون لها أب يريد أن يكون أماً حقيقياً، وأخت أيضاً... وهذا نسف كيانها نسفاً. لقد طالت وحدتها، ولم تستطع أن تتصور أنها ستكون جزءاً من أسرة. وتساءلت إن كان هذا أحد الأسباب التي جعلتها تؤجل الحديث عن علاقتها بساندور.

كانت خائفة من أن تستسلم وتصبح عضواً في أسرة فيُسلب هذا منها مرة أخرى. كان هذا نوعاً من الخوف لا يفهمه سوى شخص عاش طويلاً على هامش سعادة الآخرين. وكان ذهنها مشغولاً بأفكارها المضطربة أثناء إصغائها إلى حديث الآخرين.

علمت أن آمبر في المدينة لالتقاط بعض الصور، على أن تقابل لاحقاً ميجيل مينيندز. كانت تتحدث عنه بقوة وحيوية بالغتين ما جعل إيلي ووالدها يبتسمان. بعدئذ، طلب ساندور عشاءً فأكلوا جميعاً وهم يتحدثون.

كان الوقت متأخراً عندما وقف ساندور وقال: «إيلي بحجة إلى راحة فقد عاشت أسابيع مضنية. ربما نستكمل الزيارة غداً».

نظرت آمبر إلى إيلي وعضت شفتها بإشارة فهمتها إيلي، ثم

قالت: «أنت لم تتحدثي كثيراً».

- لقد استوعبت كل ما حولي، ولكن... لم أتعوّد أن أكون عضواً في أسرة.

- يبدو أبونا رائعاً الآن. من الصعب التصديق أنه أنشأك بذلك الشكل.

فابتسمت إيلي: «إنه ليس بالسوء الذي يظنه الجميع».

- بل كنت كذلك.

فهزّت كتفيها: «هذا غير مهم، إذن. أنت أبي وأنا أحبك كثيراً. لقد أحببتك وسأحبك دوماً. ولكن مسألة الأسرة هذه... أنا بحاجة لأن أعتاد عليها رغم أنني أحبها كثيراً».

وابتسمت آملة أن يرى الجميع إخلاصها. وأومأت آمبر: «أنا أيضاً لدي شعور بأنني سأحبك كثيراً».

فقال ساندور بابتسامة حارة: «ستحبينها كما ستحبك هي. إنها محبة ومحبوبة حتى النهاية كما يبدو أنك أنت أيضاً امرأة غير عادية».

شعرت إيلي بالإغماء. لا بأس! هذه شهادة أخرى ما يعني أنها لا تتخيل.

وتنحنح أبوها: «أريد أن أمكث هنا فترة أطول... وذلك كي أتحدث عما علمته من مستشاري القانوني عن خطف الأطفال والوضع القانوني وما شابه».

فسألته إيلي: «هل كل شيء سيكون على ما يرام؟ لن تذهب إلى السجن؟».

- لن تذهب. لقد سبق واطمأنيت إلى أن هيلين لم تعد تعاني من مأساة ماضيها.

فقالت آمبر بذعر: «هل فعلت هذا حتى قبل لقائك بنا؟».

www.elromancia.com

- نعم.

فقفزت إليه واحتضنته: «شكراً».

شعرت إيلي بوخزة، ليس حسداً بل حزن. إنها تحب أباها، ولكنها تتساءل إن كانت علاقتها به ستصبح يوماً ما سهلة كعلاقة أختها به الآن. لكن حتى ولو لم تتمكن من ذلك فعلاقتهما الآن أفضل بكثير مما كانت عليه. لن تنوح قط لكي تتغير الأمور، وشعرت بسعادة حقيقية.

- ليس لديكم مانع إذن فيما لو ذهبت إلى الفندق؟

قالت هيلين وكأنها أمها: «لا، طبعاً لا. أنا مسرورة للغاية لأن معك من يهتم بك مثل ساندور».

وكان هذا حسناً. واكتشفت إيلي أن ساندور حجز غرفتين متلاصقتين في الفندق. لكنه رافقها إلى غرفتها وأغلق الباب خلفهما، فلاحظت حقيبتها مستندة إلى الجدار.

- هل غرفتك ملاصقة؟

- حتى تصبح مشتركة.

أومأت بينما جمد ساندور: «ماذا تعني إيماءتك هذه؟».

ردت عليه تواجهه: «وماذا عنت تلميحاتك عن الحب اليوم؟».

فأجاب من دون تردد: «تعني أنني أحبك».

- لا. لا يمكنك ذلك.

- أؤكد لك.

- لكنك لا تؤمن بالحب؟

- الإيمان ليس ضرورياً دوماً في الأمور الموجودة فعلاً. لقد آمنت سريعاً بحبي لك عندما رفضت أن تعودي إليّ، أو الحديث معي عن مستقبلنا.

- ليس قبل ذلك إذن.

- كنت بطيئاً. ولكن السرعة التي تنقصني سأعوّض عنها بطول المدة.

وجذبها إلى بين ذراعيه: «سأحبك إلى الأبد».

دست وجهها في صدره وأخذت تتنشق رائحته الرائعة وهمست: «ظننت أن ثمة رجل أحبني ذات يوم، لكنني كنت مخطئة».

- حبيبك الأول؟

رفعت وجهها لتراه: «هل أنت واثق من أنه لم يكن هناك سوى واحد؟».

- نعم.

- هل أنت واثق من ذلك؟

- تماماً. فوحده الأحمق يدعك تذهبين إذا كنت تحبينه.

- هل أنت واثق تماماً من أن رجلاً آخر يمكن أن يبادلني الحب؟

- تماماً. أنا متأكد.

وقبلها على رأسها: «أنت محبوبة بشكل لا يمكن مقاومته».

- لم يكن يظن ذلك.

- حبيبك الأوّل؟

- نعم.

- كان معتوهاً.

أومأت بعد أن وصلت إلى النتيجة نفسها ولكن لأسباب مختلفة: «كنت في التاسعة عشرة، وهو حارسي الخاص. أخطأت إذ ظننت أنّ ما أشعر به هو الحب الدائم إلى أن تناهى إلى سمعي حديثه عن هدفه من الزواج مني. أراد جزءاً من إمبراطورية أبي وقد استغلني

www.elromancia.com

للحصول عليّ. لقد خطط لكل شيء. وهو لم يكن في الأساس يعمل في الحراسة بل درس إدارة الأعمال. لكنه اتخذ هذا العمل ليتقرّب مني. يبدو أن الكل كان يعلم مدى تجاهل أبي لي فظن أنني سأكون وحيدة ومن السهل إغرائي. وكان على حق».

اشتدت ذراعا ساندور حولها وتمتم بغضب: «ذلك الحقير».

- نعم. كان كذلك، لقد لقنني درساً قاسياً.

هل سيفهم ما تريده حتى من دون أن تطلبه؟ وأجاب: «الحب لا يبنى على المصلحة والأنانية، وإذا حرمتني حبك فسوف أذوى وأموت».

فقالت بصوت مختنق: «أنت لم تقل الآن هذا بالضبط».

- بل فعلت.

فهزّت رأسها لكنه أومأ قائلاً: «آه، نعم. ماذا حدث لذلك الحارس؟».

- أخبرت أبي أنه تحرّش بي فطرده.

جذبها ساندور إلى صدره حيث بقيا متعانقين: «أنا منجذب إليك يا إيلي وأحبك أيضاً».

وشدّها إليه بعنف فسألته: «ماذا يعني ذلك؟».

- يعني أنك حبي.

وكان قد قال مثل هذا الكلام من قبل فقالت: «آه».

- لقد صفحت عن الأسوأ في أبيك، ألا يمكن أن تصفحي عني لاتهامي لك بأنك كنت مع رجل آخر؟.

بدا الانزعاج البالغ عليه، فأحاطت وجهه بكفيها: «أعلم أن الصور شكّلت صدمة... ولو ناقشتك لأقنعتك بأنها ليست صوري ولساعدتني لنكتشف هوية صاحبتها. أعلم هذا. لكن غضبي الشديد

كان من اتفاقيتك تلك مع أبي».

- أنت تستعملين الفعل الماضي. هل هذا يعني أنك لم تعودي غاضبة مني؟

هزّت رأسها وهي تتنهد: «وما الفائدة؟ التمسك بالغضب لا يؤدي إلا إلى المرارة وهذا يعذب روح الإنسان».

لم يعجبه جوابها، وسألها: «ولكن هل ما زلت ترفضين الزواج مني؟».

- يمكنني أن أصفح لكنني لا أدري إن كان بإمكاني أن أثق بك أو لا.

- أنا لم أخبرك عن الاتفاقية لأنني كنت أعلم أن الأمر سيكدرك.

- كنت محقاً.

- لكنني كنت أريدك حتى لو لم يعرض عليّ أبوك الاتفاقية. منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها رغبت فيك. ولاحظ أبوك اهتمامي فعرض عليّ الاتفاقية.

- أخبرني ذلك. قال إنه رآني مهتمة بك أنا أيضاً.

- أحقاً كنت كذلك؟

- نعم.

- إيلي، أريدك أن تكوني لي مدى الحياة. يمكنك أن تثقي بي. لن أخفي عنك شيئاً مرة أخرى.

- هل لأنك تحبني؟

- نعم.

- كما تتصرّف مع أمك؟

- بالضبط.

www.elromancia.com

- أنا خائفة يا ساندور. أدركت الليلة أنني لا أستطيع أن أعيش مع أسرة. لا أدري كيف أصدّق أن الخير من حولي... أو أصدق أنك تحبني.

آلمة اعترافها هذا لكنه هزّ رأسه: «أنت تخدعين نفسك. الإيمان هو ما تحسنينه يا إيلي. لقد بقيت لسنوات تؤمنين بأبيك الذي يئس منه الجميع. كنت تؤمنين بي وإلا لما عدت قط من إسبانيا مصممة على الزواج بي. أنت امرأة مليئة بالإيمان وأنا الرجل الذي سيثبت لك أن إيمانك قائم على شيء حقيقي».

- أتظن أن بإمكانك ذلك؟

- جربيني.

حدقت فيه. لا يمكن أن يكون الأمر بهذه السهولة. وسألته: «هل هذا ما يقولونه في آخر الحكايات: (وعاشا بسعادة إلى أبد الآبدين؟)».

- أنا لست ذلك الأمير الخرافي. لكنني أظن، يا حبيبتي، أن هذه هي بداية سعيدة لاثنين غارقين في حب بعضهما البعض بحيث لا يستطيعان العيش مفترقين.

- ألن تتركني؟

- أبداً.

- ولن أعود للعيش وحيدة مرة أخرى أبداً؟

- سأكون مرساك الأمين وستكونين بحري الذي يحيط بي وسأكون معك دوماً.

- وستبقى دوماً معي؟

- نعم.

- أنا أحبك، يا ساندور.

- أمي قالت إنك تحبينني.

- أحقاً قالت هذا؟

- نعم.

- متى؟

- عندما بكيت وأنا أشرب قهوتي لأنني فقدتك.

- أنت لم تفعل هذا.

- بل فعلته بكل تأكيد. يمكنك أن تتصلي بها وتسأليها... لكن في ما بعد. أما الآن فأريد أن أشبع منك.

فتحت فمها لتتكلم فأسكتها بحنان. لقد عاشت وحيدة وقتاً طويلاً، وإذا بها يصبح لديها أسرة الآن، أسرة كاملة.

وامتلأت دفئاً وعرفاناً فيما حملها عناق ساندور إلى عالم آخر.

عادت إيلي في اليوم التالي لتزور أختها حسب وعدها، وهذه المرة قررت ألّا تبقى صامتة. تحدثتا وتحدثتا حتى أعلن ساندور للمرة الثانية بأن الوقت حان للعودة إلى الفندق. بقيا في جنوب كاليفورنيا ثلاثة أيام، ليعودا إلى بوسطن مع وعد من هيلين وآمبر بزيارة إلى بوسطن في أقرب وقت.

وتزوج ساندور وإيلي بعد ذلك بشهر وكانت آمبر وصيفة العروس، بينما أخذ جورج وينتويرث وهيلين تايلور وهيرا كريستوفايدس ينظرون بأعين دامعة من فيض السعادة. وحضر الحفل رجل آخر بدا لهم مألوفاً، لكن إيلي كانت واثقة من أنها لم تعرفه قط من قبل. وعندما وضع ذراعه حول كتفي هيرا وابتسم لها، كاد يغمى على إيلي. التفتت إلى ساندور وسط عهود الزواج وهتفت من دون تفكير: «هل وجدت أباك؟».

- ليس أنا بل هاوك من وجده.

www.elromancia.com

- ألم يكن متزوجاً؟

- لم يتزوج أبداً. يبدو أن الرجل في أسرتنا إذا وقع في الحب فللأبد.

اغرورقت عينا إيلي بدموع السعادة، ثم عادت إلى الكاهن لتكرر العهود.

لكن ساندور اعتصر يدها قبل أن تنطق بكلمة: «كما أنني مزّقت الاتفاقية التي وقعتها مع أبيك لتوحيد الشركتين».

ارتجفت ركبتاها هذه المرة فحملها يضمها إلى صدره.

همست: «ماذا فعلت؟».

- محوت آخر سبب يدفعك إلى الشك.

أحست بدوار: «لكن ماذا عن شركة أبي؟».

- ما زال أمامي سنوات طويلة من العمل. ستعمل هيلين معي كمستشارتي. إنها سيدة أعمال ذكية. ويوماً ما، سيصبح لدي أحفاد.

نظرت إلى المتكلم لتلتقي عيناها بعيني أبيها الباسمتين، ثم التفتت إلى الكاهن الضاحك الذي لم يمانع المقاطعة في هذا الاحتفال غير العادي بمجموعته الصغيرة التي هي الآن أسرتها. وأخيراً، استقرت نظراتها على نظرات ساندور المتملكة المغرمة.

كانت محبة ومحبوبة.

وهي، أخيراً، عضو في أسرة أمضت حياتها متلهفة إليها. وسرى الارتياح ممتزجاً بالسعادة في جسمها.

أنهت النطق بعهودها الزوجية من دون أن تحوّل نظرها عن الرجل الذي جعل كل هذه الأمور ممكنة.

كان فارسها وبطلها، مهما قال. وبدا مستقبلهما متألقاً إلى حد شعرت معه بحاجة إلى نظارات شمسية لمواجهته.